

# قِلَاعَاتٌ وَمَشَاهِدَاتٌ



منظمة  
للطباعة والنشر والتوزيع

0159116  
Bibliotheca Alexandrina



# قِيعَانُكُمْ وَمَشَاهِدُكُمْ

تأليف  
ثروت أباظة

**منظمة مصر**

للطباعة والنشر والتوزيع  
الغجالة · القاهرة



## الأدب والبشرية

أقرأ في هذه الأيام كتاب الخالدون مائة أعظمهم سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ، والكتاب ترجمه إلى العربية الكاتب الكبير الأستاذ أنيس منصور ومؤلف الكتاب مايكل هارت عالم فلكي رياضي . والكتاب عرض سريع لهؤلاء الخالدين يمكن أن يكون تعريفا لهم لمن لا يعرف عنهم شيئا . أما هؤلاء الذين يعرفون هذه الشخصيات سيجدون في العجالة التي أوردها الكتاب تذكرة لهم بهؤلاء الاعلام والكتاب ممتع في عرضه يهب للقارئ سعادة ويدفع عنه الملالة حتى أننا لنقرأ ما عرضه الكتاب فنجد أنفسنا تواقين إلى المضي فيه ولا نجد عسرا في عرضه للشخصيات التي قدمت اشياء خالدة في تاريخ البشرية في فروع بعيدة عن تخصصات القارئ .

وإنما أثار اهتمامي في هذه الشخصيات ما كتبه المؤلف عن شكسبير من رأى يدل على أن الكاتب لا يدرى شيئا عن وظيفة الأدب ولا عن قيمته في الحياة فهو رأى أقل ما يقال عنه أنه ساذج فطري . عجبت كل العجب أن يصدر عن شخص له ما للمؤلف من ثقافة . ثم رددت تعجبي وقعت الدهشة حين تذكرت أن المؤلف عالم فلكي ورياضي وأولئك قوم في أغلبهم لا يدركون إلا المحسوسات ومن يدرك المحسوسات ولا يدرك غيرها إنسان جامد الحس ، قاصر النظر ، سطحي التفكير ، وليس هذا الذي أقوله عنهم ذمّا وإنما هو وصف لا أظنهم يضيفون به فالذي يتكلم لغة الأرقام ولا يقبل إلا العلم البصري لا يؤمن إلا بما يراه رأى عين لا تتعمق بصيرته إلى عالم الروح وإلى مكامن النفس وإلى دخائل الضمائر ومكنونها .

يقول الكاتب :

وعلى الرغم من عبقرية شكسبير وعظمته المؤكدة فإنه لم يظهر في وقت مبكر من قائمة الخالدين . وقد جاء دوره متأخرا قليلا لا لأننى لا أقدر عظمته وعبقريته ولكن لأننى أعتقد أن الأدباء والفنانين ليس لهم إلا أثر ضئيل على تاريخ الإنسانية .

واعتقاده هذا هو الذى أثارنى إلى هذا المقال . فالرجل إذن لا يفكر إلا تفكيرا محدودا . الدليل على ذلك أننا نجده يضع بين خالديه أسماء أفنت من الأرواح ما أفنت ودمرت من البشرية ما دمرت وأعتبر أن هؤلاء الخالدين في رأيه أعظم اثرا على البشرية . فالذى يهدم البشرية عنده يتقدم على الأدباء والفنانين لأنه يعتقد أن الأدباء والفنانين ليس لهم إلا أثر ضئيل على تاريخ الإنسانية .

ولأنه عالم فلكى ورياضى لم يستطع أن يتخيل لحظة ماذا كان يُسمى تاريخ البشرية لو خلا من الأدباء والفنانين .

فلو أن الإحساس بالفن مسه من قريب أو بعيد لتخيل عالما لا أدب فيه ولا فن . ولو أنه أمعن النظر قليلا في التاريخ لوجد الأدب هو الذى جعل الناس تعرف معنى الحرية ومعنى الشرف ومعنى الوفاء والحب الذى صعدت البشرية على هُدها إلى مراقى الانسانية .

ولو أن هذا الكاتب نفسه قرأ شكسبير وأحسن قراءته لوجد أن كثيرين ممن اعتبرهم خالدين إنما هم سفاحون أعاقوا البشرية . وإن كان هو قد ذكر ما صنعوه في ظاهرها الحياة وسطحها فان شكسبير قد غاص منهم إلى الأعماق وكشف خبيثة نفوسهم وجعل الفرد منهم الذى طغا وتجبر وعتا لا

يزيد في حقيقته عن مخبول أو مجنون . وأنه ما ارتكب ما ارتكب إلا لأنه نبا في تركيبه عن شرف الانسان وعما ينبغي لأسمى المخلوقات من رحمة واشفاق بالبشر وعطف على اخوته في الانسانية ولو أنه قرأ شكسبير والأدباء الآخرين في لغته وفي غير لغته لوجد أن الإمبراطور الأعظم والملك المتوج والرئيس المتأله الذي تهتف بإسمه الحشود عن حق أو ضلاله ليسوا عند الأديب إلا أناسي وبشرا من البشر لا يزيدون عنهم في شيء . وربما كان أولئك الاباطرة والملوك والرؤساء أقل من الناس شأنًا بلؤم الطبع . وخيسة المتجه ودناءة الهدف . وربما كانوا أحقر من الإنسان بالوسائل الوحشية التي يتبعونها وبالاحتيال وإخفاء الحقائق والبطش الوحشي . بطشا يبين في أعين أمثال المؤلف من الماديين مبررا وهو عند الأدباء الأمناء لا تبرير له مطلقا . فما يقبل الأديب أن يهان الانسان وما يقبل الأديب أن يستغل شخص ما مها يكن ملكا . أو إمبراطورا أو رئيسا سطوة منصبه ليهين الإنسانية متمثلة هذه الإنسانية في أى فرد مها يكن مكانه في المجتمع وما يقبل الأديب أن يكون الفقر مذلة ولا أن يكون نوع العمل مها يكن شأنه داعيا للاعتداء على كرامة الانسان أو على حقه في الحياة الحرة الشريفة . ولو أن الكاتب قرأ شكسبير أو غيره من الأدباء لعرف أن الخصومة السياسية ورفض الرأي لا يجوز أن يسمح للإمبراطور أو الملك أو الرئيس أن يقمع بالسلطان خصمه أو ينال بالسيف رضاه . فما الإمبراطور أو الملك أو الرئيس إلا فرد يخطئ كما يخطئ الناس ويصيب كما يصيبون . ولو أنه قرأ شكسبير أو غيره من الأدباء لعرف أنهم يرون أن الشرف ليس مقصورا على طبقة دون طبقة ولا على ناس دون ناس وإنما هو مشاع بين كل الطبقات لا اختلاف بينهم ولا فارق ، فكما يجوز أن يكون ابن

الأمباطور أو الملك أو الرئيس شريفا يجوز أيضا أن يكون وضعيا في خلقه  
ساقط الكرامه يرتضى لنفسه مالا يرضاه إلا السفلة والأفاقون .  
وجوز أيضا أن يكون الفقير شريفا سامق النفس على الهمة ويجوز  
أيضا أن يكون ابن الوضع وضعيا .

ولو كان قرأ لشكسبير أو لأحد من الأدباء لعرف أن المال الذى أصبح  
إلهاً في النظرية المادية الشيوعية والذى هو الإله في النظرية الرأسمالية ليس  
عند الكتاب فيما يكتبون إلا وسيلة وما هو بغاية . وأن الناس الذين يجعلون  
منه غاية هم أرخص خلق الله على الله وعلى البشر .  
وإن الغنى لا يجعل الإنسان عظيماً وإن الفقر لا يجعل الإنسان حقيراً  
وإنما الإنسان عند الأديب عمله وليس ماله وخلقته وليس أخلاق ثيابه .  
فالأدباء والكتاب هم صرخة البشرية في وجه من يعادى البشرية على  
نور أقلامهم سار الخالدون الذين ذكرهم باستثناء سيدنا محمد  
ﷺ وعيسى - عليه السلام في كتابه اللذين جاءهما الهدى من السماء .  
وقد اختار الله لأعظم الخالدين سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام أن  
يكون معجزته متمثلة في الكلمة . ولكن العالم الفلكي الرياضي لا يستطيع  
أن يفهم هذا المعنى ولا أن يقدره . ومن أين له أن يعرف قدر القرآن الكريم  
وهو لا يتحدث لغته .

إذا كان المؤرخون هم الناقلون أحداث التاريخ إلى الأجيال فإن  
الكتاب هم الناقلون منائر القيم إلى كل الأزمان .  
وإذا كان المؤرخ يثبت الأحداث فإن الأديب يبلور روح العصور إلى  
العصور .



- ٧ -

وإذا كان هناك من يكفر بقدر الأديب فهو جاهل . أو غبي . وكلاهما  
شر من أخيه .

وإن كان هناك من يقول أن الأدباء بما يملكون من أقلام يعظمون قدر  
أنفسهم فإن هذا القائل عمى عن الحقيقة وانفصل عن البشر . لأن الناس  
هم الذين يقدرون الكتاب ويرفعونهم إلى مراتب الأنبياء والصديقين بما  
أناروا أزمان البشر منذ الأزل وإلى الأبد .

## خواطر ونقد

كم من خاطرة راودتني في هذا الأسبوع وكم أردت أن أصبح بأقوام  
أن أسكتوا عن باطلكم حتى يتاح لنا أن نسكت عن حقنا ، فويل لزمان  
يعلو فيه صراخ الباطل ويتخافت فيه صوت الحق ، وويل لزمان يجعل  
المشرق غربا والغرب مشرقا ويجعل المهون مجدا والمجد هوانا على أعمدة  
السموق وكم قاسيت من نفسى وكم قسوت عليها أن تكف عن المضي في  
هذا السبيل الذى أصبحت أضيق بالكتابة فيه زهدا واجلالا للقراء أن  
أجعلهم يقرأون عن أمرهم به محيطون . وبعضهم اصطفى أواره وبعضهم  
به من آثاره جروح دامية لم تزل وما أحسب أن دماءها ستنضب .  
وكم كففت نفسى حتى لا أقول ما يعرفه جميع بنى آدم أن كرامة الإنسان  
وعرضه هما أثنى ما فى الإنسان وأن الإنسان هو سيد المخلوقات . ولاشئ  
فى العالم يعوض الإنسان عن سحق الآدمية فيه . ولاشئ فى العالم يعوض  
الشعب عن إذلال وطنه فى ساحات الشرف وامتهان عقيدته وهى طريقه  
إلى السماء .

أيها القلم فلتكف فوراً عن الاسترسال فلنى أعلم أنتى إذا لم أقفك بعزم  
ستمضى لاتقف .

هل بنا إلى ديوان شعر جديد ظهر لصديق قريب إلى نفسى قرابة أخ  
وحى ديوانه معى فان هذا لاشك أحب إليك من حديث تمقته وأين  
حلاوة الشعر من مرارة الأسى .

- ٩ -

أما الديوان فهو « لا تسألني » وأما الشاعر فهو العالم الأديب الأستاذ الدكتور عبد العزيز شرف . وما عبد العزيز بغريب عن قراء العربية عامة ولا عن قراء هذه الصفحة خاصة فهو من عمدها .

هذا الديوان فيض شعور فهو أشبه ما يكون بلحن جميل متناغم المقاطع عذب إذا قرأته انتشيت وإذا أعدت قراءته أعجبت - إقرأ معي :

كنت ألقاها صباحا فتلاقيني العشيّة  
ثم تأسو لي جروحي بالأغاني العبقريّة  
آه من لفظ حبيبي في أغانيها الشجيّة  
آه من جرح قديم . قد تولت هي رية  
وتنأت ذات يوم . مثل أعراض التحية

كم هو جميل قوله مثل أعراض التحية ، ولا أحسب أن الدكتور عبد العزيز قد ذكر الأبيات الجميلة عن التحية حين ألهمته شاعريته هذا التعبير الشعري المشرق أما أنا فتذكرت تلك الأبيات القديمة .

بيضاء باكرها فصاغها بلباقة فادقها فاجلها  
منعت تحيتها فقلت لصاحبي ما كان أكثرها لنا وأقلها  
فدنا وقال لعلها معذورة من بعض رقبتها فقلت لعلها  
وما أجمل الشعر الذي يذكرك بالشعر الجميل وهكذا استطاع

عبد العزيز أن يجعل هذه الأبيات الرائعة تثب إلى خاطري ، ونعود إلى الديوان ونمضي بين بساطينه الفواحه العبير . ونقف عند نقشه .

ضائق بي الدنيا كافي بخصمها . ياقلب واللقيا طوتها الانجم  
صحبي وحبي والكرامة كلها مما اعاهد بالوفاء واكرم  
ان الوفاء سجية لك هل ترى . تدع السجية للشكاة ونحجم

وأنا الذى قد عاقها . ومقنه مازال ينضح بالسلام ويسم  
آثرت بالحب ووددتهم ما بالهم ظلموا ولم أك أظلم  
إن أجمل ما فى هذه الأبيات أنها تجمع بين البساطة الحديثه وبين  
الاصالة العربية . واعجب معى لأقوام يقيمون موازين للجمال من صنعهم  
ما أنزل الله بها من سلطان . إن الشعر الجميل جميل فى كل عصر .  
وان أثره هو اثره منذ الجاهلية الأولى وحتى اليوم وإنه ليتسرب إلى النفس  
فيشيع فيها أسمى معانى الإنسانية وأشرفها حتى كان الإنسان يدف بجناحين  
ملكا فى السماء بعيداً عن الأرضية وكل ما فى البشر من شرور .

وقد أحسن الدكتور شرف صنعا بذلك الفصل الذى أضافه إلى  
الكتاب بعنوان « مع النصوص الشعرية » بقلم الدكتور كمال اسماعيل  
والفصل من أعمق البحوث التى قرأتها عن الشعر . وحين يتكلم الدكتور  
كمال عن عبد العزيز شرف يقول فى أول حديثه زعم أحد المثقفين أن  
الدكتور عبد العزيز شرف رومانسى وتساءل هل نحن بحاجة إلى مزيد من  
الرومانسين . وأترك الدكتور كمال اسماعيل يجيب إجابة مفصحة وأتناول  
هذه القضية التى يثيرها بعض النقاد حين يصنفون الشعراء والكتاب عامة  
إلى رومانسين ورمزيين وواقعيين فتلك من المضحكات المبكيات فالشاعر  
أو الكاتب لا يعبر هذه التصنيفات أى التفات . وانما هو يلتقى مع نفسه  
ويكتب فنه وليس يعنيه فى قليل أو كثير هذا التصنيف بل إننى أحسب أنه  
لا يعنى أحدا .

واسمحوا لى الآن أن أقدم رواية قرأتها فما دمت قد أمسكت قلم الناقد  
وظفت به فى بحور الشعر فن حق الرواية على أن أتناول ربوعها بالحديث  
وأنا منها وهى منى على وشيجه من القرى وعلى آصرة من الحب لا تجيزان

لى أن أنساها إذا أنا ولجت من باب الناقدين . الرواية من أعظم ما قرأت  
فى السنوات الأخيرة وكتبها الناقد العالم المتمكن العميق الدكتور نبيل  
راغب . وليس نبيل غريبا على الرواية فقد مارسها سنوات ناقدًا وأستاذًا  
دارسًا ثم كتب بعد ذلك عدة روايات فاستطاع أن يفلت من أسوار  
النظريات إلى ساحات الفن المترامية الأطراف .

وروايته هذه التى قرأتها أخيراً هى « درب الشوك » وقد استطاع نبيل  
فيها أن يمزج فى براعة فائقة بين التاريخ القريب وبين الإبداع الفنى حتى  
لقد ظن كثيرون ممن قرأوها أنها وقعت وأنه إنما يروى وقائع ولا يبدع فنا .  
ويوشك كثيرون من القراء أن يروا كل أسم من أسماء الرواية إلى اسم إنسان  
عرفه الشعب المصرى وذاع أمره فيه .

وأشهد أننى لم أقرأ عملاً مشابهاً لرواية الدكتور نبيل راغب قبل هذا  
وأشهد أنه وفق غاية التوفيق فى هذا المزج الرائع بين التاريخ القريب وبين  
الفن الروائى .

وأما الرواية من الناحية الفنية فهى شائقة السرد ولا يزال التشويق من  
أهم مقومات الرواية وإن رغمت أنوف .

وإننى أهنىء الأستاذ الدكتور نبيل بروايته هذه وأهنته بقلته العربية  
الجميلة المتدفقة فى طبيعة وفى غير قسر ولا اصطناع وأرجو أن يضيف إلى  
مكتبة الرواية كثيراً من هذه الأعمال الرائعة .

## لمحة عن ابن الرومي

كتب العرب في جميع أغراض الشعر ، وكان شعر الهجاء من أهم الأغراض التي نظم فيها الشعراء المتقدمون ، وهذا أمر طبيعي لا غرابة فيه فما داموا قد كتبوا في المديح وبالغوا فما بعجيب أن يكتبوا في الهجاء ويبالغوا أيضا .

وقد كان العرب يخشون الهجاء حرصهم على المديح ، وبين الهجاء والمديح كان الشعراء يجدون قوتهم أو يجدون ثراءهم في بعض الأحيان . وقد جرى علماء التربية أن يهاجموا شعر الهجاء ويبغضوه للناشئة أرى أن علماء التربية في هذا مخطئون فبقدر ما يمجّد المديح الكرم والخلق الرفيع . يبغض الهجاء الخلق الدنيئ ، ويجعل منه متجها مقينا وشيئا لا يجوز للشريف أن ينحو إليه ، وكما يمثل الوصف والغزل فناً رفيعاً تجد الصور فيه تدعو إلى الإيثار والإعجاب .

واعتقد أن تمجيد الفضل لا بد أن يسير معه في نفس الطريق مهاجمة الشر والنيل منه ، وكما يبلور المديح الشيم الرفيعة ويعلّي من شأنها يقدم الهجاء صورة فنية رائعة للخلق الذميم والتصرف المقبوح . والإنسان لا يستطيع أن يحترم الفضل إلا إذا احتقر الخلق الزرى والفعل الذميم .

والقرآن الكريم فتح للناس أبواب الأمل في الجنة اذا هم اتقوا وآمنوا وعملوا عملاً صالحاً ، وهدد بالويلات والنار تكوي الجنوب والجباه فهم فيها لا أحياء ولا أموات إذا كانوا من المفسدين الضالين الآمنين المعتدين .

وكما حيب القرآن الكريم :بنا الخير وحضاً عليه بغض الينا العصيان  
والفسوق والنكول عن الطريق الأقوم وهددنا بالعذاب الذى لم يعرف  
البشر له مثيلاً إذا نحن أطعنا أهواءنا ونكصنا عن الهدى والتوب والإنبابة .  
ولو شئت أن آتئ بأمثلة من القرآن لاوشكت أن اذكر القرآن كله ،  
لاتكاد تجد سورة واحدة تخلو من آيات كريمة عديدة تهاجم الكفار  
والمعتدين والظالمين فهم قوم بور . وهم مسرفون . وهم قوم عُمئ عن  
الحق . وهم لايفقهون . وهم لايدكرون وهم صمٌ عن النصيح بكم  
لاينطقون بما يعلمون إنه الحق . وهم غير ذلك وغير ذلك كثير .

فالله سبحانه من فوق سبع سماوات لعن المائلين عن الجادة السافلين  
عملا . الضالين صراطا ، فمن حق الشعراء بل من واجبه أن يرسموا للناس  
الجمال والقبح والخير والشر . ومن حقنا نحن البشر أن نعجب بشعر الهجاء  
إعجابنا بأئ لون آخر من ألوان الشعر .

وربما كان ابن الرومئ أروع من قال شعرا فى الهجاء فى العربية وقد  
أبدع فيه إبداعا لا أحسب أن أحدا ضارعه فيه .  
أذكر قوله :

وجهك ياعمرو فيه طول	وفئ وجوه الكلاب طول
والكلب وافئ وفئك غدر	ففئك عن قدره سفول
وقد يحامئ عن المواشئ	وما تحامئ ولا تصول
وأنت من أهل بيت سوء	قصتهم قصة تطول
وجوههم للورى عظات	لكن أقفاءهم طبول
مستفعلن فاعلن فعولن	مستفعلن فاعلن فعول
بيت كمعناك ليس فيه	معنى سوى أنه فضول

وأذكر بيته الرائع ولا أذكر معه بقية أبيات القصيدة ، فهذا البيت في نظري كفاء لديوان بأكمله يقول :

ألا كريم جزاه الله صالحه يهجو عني في عن عرضه كسل  
وأذكر تلك الصورة السينائية العجيبة التي يقول فيها :

رأيت الفضل متهيجا يناغي العيش والسمكا

فاسبل عينه لما رأي قادم وبكي

فلما أن حلفت له باني صائم ضحكا

كم يخسر الشعر العربي إذا نفينا عنه الهجاء . إن هذا النفي يحرمنا من لمحات فنية لو ترجمت إلى الغرب لسارت كل مسار أسمع ابن الرومي أيضا يقول :

يقتر عيسى على نفسه وليس بياق ولا خالد

فلو يستطيع لتقتيره تنفس من منخر واحد

كيف استطاعت هذه الخاطرة أن تثب إلى ذهن ذلك الشاعر العملاق إلا أن تكون العبقرية المتفردة .

ثم اسمع معي ما يقول لباني الدرج :

ياباني الدرج الذي أولى به هدم الدرج

بشس البناء هي في المنازل والديار فلا تلج

لاسيما لأبي البنات الناظرات من الفرج

وكذاك أتم معشر في عود منبتكم عوج

فلو أن قل رؤوسكم ذات القرون إذا درج

شاء العروج إلى السماء على قرونكم عرج



هذا الاكتمال الرائع فى الصورة لا يتأتى إلا لابن الرومى . كيف استطاع أن يصف أسرة بانى الدرج بالقذارة وبأنهم أصحاب قرون ثم يجمع بين الصفتين فى حركة درامية واحدة ... عجيبة .

ولم يكن عجيباً أن يموت ابن الرومى حتف هجائه ، فقد هجا أحدهم وربما يكون واحد من هؤلاء الذين ذكرت شعره فيهم . وأرسل المهجو إليه يسترضيه ويدعوه إلى ولية . وفى سداجة الشعراء وجهلهم بالحياة يذهب ابن الرومى إلى الولية ويأكل وبعد أن يأكل يحس السم يسرى فى جسمه ويدرك أن الداعى دس له السم فى فطيرة دسمة .

ويقوم ابن الرومى ببغى الانصراف دون أن يقول شيئاً ولكن القدر يأبى له إلا أن يجعله هاجياً حياً وميتاً . فيسأله صاحب الدار .

— إلى أين ؟

وبجيب ابن الرومى فى استسلام :

— إلى حيث أرسلتنى .

ويقول الداعى فى شماته :

— سلّم لى على أبى

ويقول ابن الرومى آخر جملة عرفت عنه فى حياته

— آسف ليس طريقى إلى جهنم

وبعد فإنى أهدى هذه المقالة إلى الأدباء ليستمتعوا بما فيها من فن

ابن الرومى وأهديها أيضاً إلى من يلزم من غير الأدباء ؟

سر الكلمة

يلج على في هذه الأيام شاعر المهجر العظيم إيليا أبو ماضي . وقد جعل هذه الأبيات مقدمة لديوانه الخالد الجدول . وإني سأروى لك الأبيات من الذاكرة فلا تعنف بي إذا أبدلت لفظا بقول أبو ماضي

يا صديق أنه لولاك ما	وقعت لحننا
كنت في سرى	لما كنت وحدى أغنى
ألبس الـروض حلاه	انه يوما سيجنى
ليس نورا كل نور	مر بالأعين وسنى
قد سكبت الخمر	كى تشرب فاشرب مطمئنا
واسق من شئت كرما	لا تخف ان تتجنى
كلما أفرغت كأسى	زدت فى خمري دنا
فهى بالأنفاق تبقى	وهى بالامساك تغنى

والقصيدة طويلة وهى تدور كلها حول هذا المعنى فى هذه العذوبة الشفافة وهذه الروح النورانية التى يتسم بها إيليا أبو ماضى الذى يجرى شعره فى ألفاظ غاية فى السهولة واليسر حتى ليحسب القارئ أنه يستطيع فى غير عناء ان يصنع صنيعه وينظم مثل شعره حتى إذا حاول وقفت دونه أهوال وأهوال ثم انثنى علما يحاول وهو عاجز مذهول .

فإيليا أبو ماضي لم يتبوأ مكانه في الشعر العربي عن صدقة فالقن لا يعرف الصدقة وإنما يعرف الموهبة ، ويعرف العقربة والشهرة لا تأتي

للأدباء بالسعى إليها منهم وإنما هي التي تسعى إليهم صاغرة طائعة أو  
مرغمة لأنهم يفرضون أنفسهم على زمانهم وعلى ما يليهم من أزمان  
ما ابدعوا من فن رفيع لا يتأتى لغيرهم أن يجارهم فيه .

ويمتاز إيليا أبو ماضي بطعمته الخاصة به فتجد لشعره عبيره الذي  
لا يشاركه فيه أحد وانك إذا استعرضت عظماء الشعر العربي منذ الجاهلية  
حتى عصرنا الحديث تجد إن التاريخ لم يبق منهم إلا على هؤلاء الذين  
تفردوا بين جيلهم لا يماثل شعرهم شعر آخر والاستقصاء صعب ولكن  
مالنا لا نحاول عرض أمثله نصطنع منها نماذج سريعة لا تشكل دراسة  
مستوفية قدر ما تشكل شواهد على ما نذهب إليه ولننظر إلى المتنبى مثلا  
فنجد فنا رائعا فيه فحولة إذا احتاج موضوعه إلى فحولة أو نجد عدوبة إذا  
تغيا العدوبة فيقول والرواية من الذاكرة أيضا :

الواهب الندس الهزيز العبقري الأملعي الهبرزي الأروعا  
متكشفا لعداته عن سطوة لو حك منكبا السماء لزعزعا  
ويعذب حين يصف شعب بوان ويقول :  
وأمواه يصل بها حصاها صليل الجلى فى أيدى الغوانى  
ويصف خمائل العنب فيقول :

وسرت وقد حجب الشمس عنى وجئن من الضياء بما كفى  
ونلقى الشمس منها فى ثيابى دنانيرا تغر من البنان  
ويتفلسف فى منطق رائع صالح لكل زمان حتى اليوم حتى أننا إذا  
قلناه اليوم ونحن نرى الحروب الدائرة من حولنا لكان سخرية أى سخرية  
من بنى آدم :

يقول بشعب بوان حصانى اعن هذا يسار الى الطعان  
أبوكم آدم سن المعاصى وعلمكم مفارقة الجنان  
ونترك المتنبي عملاق العصور الى قمة مثل ابى تمام فنجد اللغة الفصيحة  
العنيفة أحيانا والألفاظ الصعبة والسبك الوعر المضمنى ولكن يتخلى عن  
هذا أحيانا ويميل عن هذه الألفاظ ليقول أبياته الشهيرة :

اقدام عمر فى سباحة حاتم فى حلم أحنف فى ذكاء أياس  
لا تذكروا ضررى له من دونه مثلا شردوا فى الندى والباس  
فأله قد ضرب الاقل لنوره مثلا من المشكاة والنبراس  
ويتلقف البحرى هذه الفحولة ويصوغها فاذا هى شعر رفيع الصياغة  
لا يلحق به لاحق من أبناء جيله ونسمعه يصف أسرة وقع الخلاف بين  
أبنائها بهذه الأبيات الرائعة .

شواجر ارماع تقطع دونها شواجر ارحام ملوم قطوعها  
اذا احترت يوما ففاضت دماؤها تذكرت القرى ففاضت دموعها  
وفى نفس الصياغة وفى ذكاء لملاح وظرف نادر يبلغ المتوكل أن الفرس  
الذى أهدها إليه مات فى اليوم التالى فيقول :

أهديتنى أعجوبة هى فى العجائب نادرة  
فرس كان هبوبة وشك الرياح الطائرة  
فى ليلة قطع المسافة من هنه للاحرة

وتمر السنون وتتعاقب الأيام ويمر الشعر بيوم نحس ويوم سعد حتى  
يظهر البارودى واسماعيل صبرى بشارات لمولد شوقى وتنبغ إلى سماء الشعر  
شمس جديدة تلقى نورها بكل أنحاء العالم العربى حتى اليوم ونرى الشعراء

الأفذاذ في إثارة وفي إثار حافظ و خليل ومطران ومحرم ونسيم وفي معيتهم  
بشارة الخورى وصحابته في لبنان وبعدهم الجوهري ومصطفى جمال الدين  
وبهجة الاثرى وصحبهم في العراق وعزيز أباظه ورامى وناجى وعلى محمود  
طه وكل شعراء أبولو في مصر ، لكل شاعر منهم رحيقه الخاص لا يخطئه  
ذوق ولا تغيب نكهته على هواة الشعر ومرتادى خيائله وأفوافه .

هؤلاء الشعراء جميعا من ذكرتهم ومن لا تتسع لذكرهم مئات  
الصحائف فرضوا أنفسهم على العالم الأدبي بما أبدعوا ، ولكن من هذا  
الذى فرضهم أنهم أولئك الذى أحبوا شعرهم واستعذبوه وتغنوا به وأسمعوه  
أبناءهم وجيلهم والأجيال التى جاءت بعدهم . فالقراء اذن هم الذين  
يفرضون الكاتب على التاريخ .

وتسألنى لمن أسوق هذا الحديث وكأنك لا تدرى . فأنى إنما أسوقه إلى  
أبنائنا المتهلفين إلى الشهرة دون أن يعملوا فى يدهم القلم الذى يرغم  
الشهرة أن تسعى إليهم ، ماذا قرأ الشبان حتى يكتبوا ، إن الكتابة لا يمكن  
أن تبدأ إلا بعد قراءة طويلة متأنية ودراسة وتذوق حتى يذوب الأديب فى  
الأدب ويصبح جزءا منه لا يتصور الحياة بغيره . فان الكلمة لا تجرى على  
قلم إنسان يريد أن يتخذ منها حلبة فى حجرة أو تحفة يتباهى باقتنائها .  
لن يكون كاتباً من لا يصل إلى سر الكلمة .. وسر الكلمة لا يتأتى إلا  
لمن يصادقها فى إخلاص يبلغ مرتبة التفانى فإن الكلمة لا تلقى سرها لعابرى  
السييل أو لمن يريدونها أن تكون مجرد زهرة فى أصيص تذبل بعد حين وتلقى  
فى الطريق إنما الكلمة دوحة غناء باقية على الزمان أصولها فى أعماق أرض  
الفن وذوآبتها فى سمائه ؟

## أم لأمر فيك تجديد

يطيب لى ونحن فى أعقاب العيد أن أتذكر هذه الأبيات لإيليا  
أبوماضى فى قصيدته هدايا العيد .

خرج الناس يشترى هدايا	العيد للأصدقاء والأحباب
فتمنيت لو تساعفنى الدنيا	فأقضى فى العيد بعض رغائى
كنت أهدى إذن من الصبر	أرطالا للمنشئين والكتاب
وإلى كل تاجر حرم التوفيق	زقين من عصير الكذاب
وإلى معشر الكسالى قصورا	من لجين وعسجد فى السحاب
على أستريح منهم فقد	صاروا كظلى فى جيئى وذهاى
وإلى ذى الغنى الذى يكثر	المال ازدياد الذى به من عذاب
كلما عد ماله مطمئنا	أبصر الفقر واقفا بالباب
وإلى صاحب المراوغ وجهها	أسوداً حالكا كوجه الغراب
إذا لاح فرت الناس ذعرا	من طريق المنافق الكذاب
وإلى من يسبى فى غياى	شرفا كى يصونه من سبائى
وإلى حاسدى عمرا طويلا	ليدوم الأسى بهم من ماى

وفى القصيدة أبيات أخرى اكتفيت منها بهذه الأبيات . ونسر ايليا  
بطبيعته لا يحتاج إلى تعليق فهو مع اشارة الديباجة فيه وسلاستها وعدوبتها  
واضح بئن حتى أننى أحسب أن أى شرح له أو تعليق عليه يفسد جماله  
ويغض من سموه . فالشاعر المهجرى العظيم قادر دائما على أن يقدم إليك  
المعنى كاملا عميقا فى غير حاجة إلى مزيد من تبيان وفى غير حاجة أيضا إلى  
تعميق .

ولو كان الشاعر الكبير حيا ضمن صبره يقدمه إلى الأدباء والشعراء وحاول أن يقدمه إلى أسود أفغانستان وهي تحارب في إصرار وجبروت ثاني قوة كبرى في العالم والتاريخ . والدولة الغازية التي يدعى أشياعها أنهم يبحثون عن السلام للإنسان وعن الإبتسامة يقدمونها إلى شفاء الأطفال تنقض انقضاظ الظلم المؤبد بالمال والسلاح على أفغانستان التي لا تملك شيئا إلا الإيمان بالله الواحد الأحد لا ترد عن إيمانها إلا بالشهادة عاملة أن في هذه الشهادة أسمى ما يتمناه المؤمنون . وتسوخ أقدام العدوان في بحار من دماء والضحايا منهم بيد المؤمنين أكثر من الضحايا في الشعب المؤمن الذين يقتلهم العدوان بآخر ما وصل إليه العصر البغيض من آلات سفك الدماء والقضاء على أرواح الأبرياء .

والظلم بقدر ما هو واقع على أفغانستان المؤمنة الشاحخة بإيمانها واقع أيضا على أفراد الجيش الغازي فهم مساقون إلى هذه الحرب لا يدرون أين يخاربون ولا لماذا ولا يدرون لماذا يقتلون هذا الشعب ولا لماذا يقتلهم هذا الشعب فجميع أفراد الجيش الغازي ينطبق عليه بيت شوقي امير الشعراء .

كالشاة تساق إلى القتل بيد جبار ذى بطش

ولو كان إيليا أبو ماضي حيا لأهدى بعض العقل إلى إيران التي تصر على الحرب مع دولة مسلمة تريد أن تكف عن الحرب وتقدم في كل يوم عروضا للصلح ولكن ايران المسلمة التي يحكمها لأول مرة في تاريخها عالم مسلم ترفض السلام والصلح وكل ما يعرض عليه ومهما تكن العراق هي المبادئة بالحرب أفلا يكنى الزعيم الايراني العالم المسلم أن يكون العراق نفسها هي المبادئة بالسلام . أين الاسلام اذن وليس بين أسماء الأديان اسم

يحوى من حروف السلام ما يحويه أسم الإسلام ولكن الاسلام عندهم اسم على غير مسمى وكلام بغير عمل وشقشقة ولا تنفيذ .  
ولو كان ايليا حيا لاهدى بعض الحياء لذلك السادر المخبول في الجاهيرية وهو يتقافز فعل القردة في كل ميدان حرب أو شقاق أو حتى معركة ايد وعصى .

ولو كان ايليا أبو ماضى حيا لأهدى سوريا بعض الرحمة تخفف بها الوطء على شعبها أو على شعب لبنان الذى قاسى من البلاء سنوات طوالا عجافا حمراء داكنا لونها قطعت أوصاله وأوهنت قواه فأصبح وهو يوشك أن يكون بلا كيان ليس يدرى أواجه الانقسامات والصراعات في داخله أم يواجه العدو الصهيونى الذى يريد أن يحطم كل العرب أم يواجه الأخ الشقيق من سوريا وهو يحتل أرضه ويرفض له السلام ويأبى أن يجلو عن لبنان التى دخلها بدعوى حمايتها فأصبحت وهى أشد ما تكون حاجة إلى من يحميها من حاميتها ويرد عنها عدوان شقيقتها سوريا التى أمست شرا عليه من صهيون ودولة اسرائيل وأذكر البيت العربى الشهير .

وظلم ذوى القربى اشد مرارة على النفس من وقع الحسام المهند  
رحمك الله ايليا ابو ماضى وقد فعل وأكرمك أن ترى هذا البلاء الذى نعانيه فنصبح جميعا مع المتنبى عيد بأية حال عدت يا عيد .



## لا يصلح العلم فوضى !!

قرأت في مجلة أكتوبر مقالة لأخى الكاتب الكبير أنيس منصور أجد من الأمانة أن أشيد بها وأن أضم صوتى إلى صوته فيما ينادى به وحسبنا نحن الكتاب أن نصرخ فما لنا فى الحياة الا هذا القلم نصرخ به ونستصرخ المسئولين إلى ما نراه حقا فقد تصدى أنيس منصور إلى مشكلة التعليم وما يواجهه أبناء مصر من كارثة بسببه .

فالدولة تقدم العلم مجانا لكل أبنائها . وهذا فى ذاته واجب عليها ينبغى أن تصدى له ولكننا ما عرفنا واجبا لا يلزمه حق إلا فى مصر وقديما قال علماء القانون والمجتمع أن الحق والواجب كوجهى العملة فإذا تصورنا انتزاع وجه من وجهى العملة أمكننا تصور وجود واجب لا يلزمه حق . فالدولة حين تتيح للتلميذ أن يتعلم على نفقتها أصبح حتما على التلميذ أن ينجح لأنه حين يرسب إنما ينتهب حق النجباء من التلاميذ الذين لا يرسبون ولهذا يتعين على الدولة أن يكون التعليم فى مدارسها مجانيا مادام التلميذ ينجح أما اذا رسب فعليه أن يدفع مصاريف تعليمه كاملة . فإذا تكرر رسوبه تحتم أن تحوله الدولة من التعليم العام إلى التعليم المهنى .

كذلك ينبغى أن تنظر الدولة فى شأن التلاميذ الضعاف فى الشهادات العامة وتحول الذين لا يحصلون على مجموع معين فى الشهادة الاعدادية الى التعليم المهنى فقد أصبحنا فى حاجة شديدة إلى متخرجين فى هذا النوع من التعليم . والدولة بهذا لاتصادر مستقبل التلاميذ وانما هى تجعل التلميذ يسير فى الطريق الأمثل له وتبعد به عن طريق أغلب الأمر أنه لن يحقق فيه

نجاحا .. ومن الواجب أننا نسمع بعض الناس يقولون أن التفوق في التعليم لا يدل على النجابة . وقد يخذل المستقبل تلميذا كان في طليعة إخوانه في فصول الدراسة . وقد تفتتح الآفاق أمام تلاميذ لم يكونوا من المتقدمين في دراستهم .

ويقول أمير الشعراء شوقي :

وكم منجب في تلقى الدروس تلقى الحياة فلم ينجب  
ويقول آخرون أن العقاد وهو العقاد لم يحصل إلا على الشهادة  
الابتدائية وأن تشرشل لم يكن نابغا في الدراسة وكذلك شأن كثيرين من  
العلماء وكبار الساسة .

ولكن هؤلاء جميعا استثناء من القاعدة العامة . وإذا كان غير الناجبين  
ذوى طموح فعليهم أن يدفعوا مصاريف دراستهم وعليهم أيضا أن يثقفوا  
أنفسهم كما ثقف العقاد وتشرشل وجميع النابغين الذين لم يكونوا نجباء في  
دراستهم أنفسهم .

ويقول أنيس في مقالته إن تعيين الدولة لجميع الخريجين يجعل الشباب  
لين العريكة خائرا في مواجهة الحياة يرضى منها بالأدنى ولا يتطلع إلى الأسمى  
ويكتفى بالبخس من العيش ولا يتطلع إلى الأرفع .

والحق إن تعيين جميع الخريجين أمر يرهق الدولة إرهاقا لا تطيقه أية  
دولة في العالم وليس الارهاق متأتيا من مرتبات الخريجين وإنما هو يتمثل  
أسوأ ما يتمثل في تراكم الأعداد الضخمة على أعمال الدولة . فالعمل  
الذى ينبغي أن يقوم به موظف واحد نجد الدولة ترصد له مائة موظف  
وتصبح المسؤولية شائعة بينهم وحين تشيع المسؤولية تضعع ولا تجد الدولة  
من تسأل عنه .

ولست أدرى أى بأس فى أن تقدم الدولة مرتبا لكل خريج مادام بغير  
عسل حتى إذا وجد عملا فى أى مرفق انقطع عنه هذا المرتب . ويكون  
بذلك شأننا شأن أعظم الدول الديمقراطية وأغناها أيضا .. تلك التى  
تعطى مرتبات فى حالة البطالة ولكن أغنى الدول هذه لاتطبق مواردها  
تعيين كل المتخرجين فى مرافق الحكومة لأنها تعلم علم يقين أنها إذا فعلت  
ستصاب الدولة بالشلل الكامل الذى نواجهه نحن .  
وأخرى

لماذا لا يدفع القادرون مصاريف أولادهم وليكن ذلك باختيارهم فالله  
وحده هو المطلع على أحوال الناس المالية . فقد يبدو المرء ثريا متعففا ورزقه  
مقدور عليه لا سعة فيها أوقد يبدو آخر فقيرا معدما وهو مكتنز يجمع المال  
بشر الوسائل ومحبيه عن الانفاق ببذل ماء الوجه ... وسفح الكرامة  
 وإهدار الاحترام .. ولعل من أجمل الأبيات التى سمعتها فى هذا الشأن من  
الحياة قول شاعر قديم .

وقائنة ما بال لونك حائلا      فقلت لها خل الأمور كم هيا  
إذا قلت عن زهد تمدحت خلتي      وإن قلت عن فقر شكوت إلهيا  
فلا عجب إذن أن يكون الإنسان ذا كرامة ويخفى فقرا .. أو ذا وقاحة  
ويخفى غنى والله وحده العليم بدخائل الناس وحقائق يسرهم وعسرهم .  
فليكن إذن التعليم المجانى اختياريا ولتقدر المدارس مصاريف يدفعها  
من يشاء ويعنى منها من يرغب فى ذلك .

والناس معادن وليس كل الناس سفلة يضمنون بالمال على دولتهم  
وينتهبون منها مصاريف تعليم أولادهم وهم عليها قادرون وكم رأينا أناسا

- ٢٦ -

يطحنهم الفقر ويؤدون الأمانات إلى أهلها وأعلم أيضا أن هناك أقواما  
يغصون بالغنى ويشرقون بالمال ويختلسون الأموال من كل مظنة لها ...  
فالغنى والفقر إنما يتمثلان في نفس الإنسان وليس في جيبه ولا في  
حسابات البنوك .

## يفتقد البدر

إننا في هذه الأيام نحتفل بذكرى الشاعر الأول في الأدب العربي أحمد شوقي ، وقد لقي شوقي من الهجوم في حياته وبعد وفاته ما يضيق به أولو الصبر والناة . وكان رحمه الله فيما سمعت يضيق بالنقد ولكن شيئا لم يستطع أن يرده عن الابداع الشعري الذي جلس به منفردا على إمارة الشعر في عصره وفيما سبقه من عصور وأحسب أنه سيظل متسنا هذه القمة إلى أجيال كثيرة قادمة ، ولا شك أنه سيتعرض في قابل الأيام لما تعرض في ماضيها من تطاول .

ولعل أصدق دليل على توقعي ما حدث في التلفزيون المصري منذ قريب حين تصدر التلفزيون ناقد مصري الجنسية والمولد ولا أقول الاسم ، أجنبي الثقافة والانتماء ولا أقول الهوى ، وحذر أن نعود إلى عصر شوقي وعزيز أباظه في المسرحية الشعرية ، وكأني به وجد من يستطيع البلوغ إلى هذه القمة ولم يبق الا أن يحذره من بلوغها .

ولكن ما شأن الأجانب الغربيين بالشعر العربي ، إن هذا الناقد يحرص على هدم الأدب العربي الخالص منذ أول حياته يتسلق ما يجد ليبلغ الشهرة ولكنه اخطأ السلم فتسلك سُلماً انجليزيا تارة وفرنسيا تارة وشيوعيا دائما فلا هو أصبح أدبيا عربيا في المكانة الجديرة بسنه ولا هو أصبح أدبيا فرنسيا ولا هو أصبح أدبيا انجليزيا وإن ظل على الدوام شيوعيا وحربا على اللغة العربية وهو بحربه لها يحارب معنى أكبر لن أصرح به مادام هو مصرا أن يتكتمه تكتمًا فاشلا فما من أحد يعرفه أو يقرأ له إلا وهو يعرف ما يضمر وما يحاول أن يستره ، والله من فوق عباده غالب على أمره .

وقالوا عن شوق شاعر الأمير وقال هو عن نفسه :  
شاعر الأمير وما بالقليل ذا اللقب  
ولكن شاعر الأمير هذا لم يسكت يوما على باطل ولا بارك يوما رأيا  
لايدين به بل هو يصرخ في قصيدته الرائعة « الهلال »

سنون تمر ودهر يعيد لعمر ما في الليالي جديد  
أضواء لآدم هذا الهلال فكيف تقول الهلال الوليد  
على صفحته حديث القرى وأيام عادر. ودنيا ثمود  
وطيبة حافلة بالملوك وطيبة مقفرة بالصعيد  
نعد عليه الزمان القريب ونحصى عليه الزمان البعيد  
يقولون يا عام قد عدت لى فيا ليت شعرى بماذا تعود  
لقد كنت لى أمس ما لم أرد فهل أنت لى اليوم مالا أريد  
ظمت ومثل يرى أحق كأنى حسين ودهرى يزيد  
ومن صاحب الدهر صحبى له شكا فى الثلاثين شكوى لبید  
وإنى نواس هذا الزمان فمن للزمان باذن الرشید  
فهو اذن يهاجم الأمير ويرميه بأنه لا يقدر شاعره حق قدره . وهذا  
الشاعر الذى أطلقوا عليه شاعر الأمير ثم نصبه شعراء العروبة جميعا أمير  
الشعراء نال هذين اللقبين تمجيذا وفخرا وكلا اللقبين كان يتمنى شعراء  
جيله أن يفوزوا بواحد منها ولكن سعيهم أكدى وصدق عليهم قول  
شوق :

قسما لو قدروا ما احتشموا لا يعف الناس إلا عاجزين  
ذكرت شوق اليوم واسرائيل تعربد فى العالم العربى كعاهرة ساقطة  
النقاب معدومة الحياء . وذكرت شوق وأنا أرى أمريكا أكبر دولة فى العالم

تبارك فجور اسرائيل وتخطيطها لكل سلام مرتقب مع العرب . وتولت القلب حسرة لاعجة بل حسرات . اسرائيل تهزأ بكل الأعراف الدولية والخلقية وتصنع ما لا تصنعه دولة بل وما لا يجوز أن تصنعه الجماعات الفلسطينية ولكن إذا غفرنا للمظلوم المشرّد أن يضرب ضربات رعناء غير واعية فكيف نسبغ أن تصنع دولة لها وزارة وكنيست ورأى عام أن تفعل فعل الجماعات التي شردها هي .

ونرى أمريكا التي ينبغي أن تكون في مكان الدولة الكبرى التي تردع مخلوقها اسرائيل اذا هي سكرت وتحدرت وعبردت تبارك ذلك الهوس الدموي الآثم المجرم الذي تقوم به اسرائيل وأرى هذا وأنظر الى العرب . فأرى سوريا تصنع في شقيقتها لبنان ما تصنعه اسرائيل في أعدائها من الفدائيين وأرى سوريا أيضا تنقض انقضاا الوحوش المسعورة على الفدائيين أيضا وكأنهم ما كفاهم ان استلبت منهم اسرائيل ارضهم وأمنهم ومأواهم وكأنهم ما كفاهم تلك الأعمال الإجرامية التي تصبها عليهم اسرائيل في غير خجل أو تفكير في الرأي العام العالمي . كان سوريا ما كفها هذا جميعا فهي تطحن الفدائيين طحنا أخرقا مأفونا حتى لا يسعنا إلا أن نقطع بأنها على اتفاق تام مع اسرائيل ومالنا إلا نطن هذا والعالم كله يتكلم عن بيع سوريا أرضها في الجولان لدولة اسرائيل التي ضمّتها إلى أقاليمها . أرى هذا وأرى العرب وما زال كل منهم في شأن يغنيه . الدول صاحبة الثراء والقدرة المالية الباذخة صامته ساكنة مكثفة أنها قطعت علاقتها بمصر وكان مصر هي التي تعربد في تونس ولبنان ولا تقطع الدول العربية علاقتها بسوريا التي حاربت الفدائيين بأشدّ مما تحاربهم اسرائيل ولكنها دول تخشى التخريب السوري وتعلم أن مصر محكومة اليوم حكما

- ٣٠ -

ديمقراطيا وأنها سلام حيث حلت أمن حيث ذهبت وأنها من قبل ومن بعد  
تنظر إلى كل الدول العربية الأخرى نظريتها إلى الإخوة الصغار وشأن الكبير  
أن يعفو ويتسامح ويعف ويتعالى في كبرياء ويصدق علينا قول الشاعر  
العربي القديم :

وإن الذى بينى وبين بنى أبى      وبين بنى عمى لمختلف جدا  
إذا أكلوا لحمى وفرت لحومهم      وإن طلبوا هدمى بنيت لهم مجدا  
يعيرنى بالدين قومى وإنما      ديونى فى أشياء تكسبهم حمدا  
ولا أحمل الحقد القديم عليهم      فليس كبير القوم من يحمل الحقد  
أذكر هذا جميعه فى ذكرى مولد شوقى وفى ذكرى وفاته فاليومان  
متوافقان ، وأسأله هل كان شعر شوقى يستطيع اليوم أن يوقظ فى العرب  
عروبتهم ويردهم الى ضمايرهم ويعيدهم إلى الطريق ، فيقول لهم ما قاله  
فى رثاء الخلافة . لأ حسب انه كان سيسمى القصيدة فى رثاء العروبة  
فهى اليوم هى القتل :

عادت أغاني العرس رجع نواح      ونعيت بين معالم الأفراح  
كفنت فى ليل الزفاف بثوبه      ودفنت عند تبليج الأصباح  
شيعت من هلع بعبرة ضاحك      فى كل ناحية وسكرة صاح  
ضجت عليك مآذن ومناير      وبكت عليك ممالك ونواح  
الهند والهة ومصر حزينة      تبكى عليك بمدمع سحاح  
والشام تسأل والعراق وفارس      أحبا من الأرض العروبة ماح  
وطبعا أبدلت كلمة الخلافة بكلمة العروبة وأمضى فى قصيدة شوقى :  
يا للرجال لخرة مؤودة      قتلت بغير جريرة وجناح



- ٣١ -

هتكوا بأيديهم ملاءة فخرهم موشية بمواهب الفتح  
 نزعوا عن الأعناق خير قلادة ونضوا عن الأعطاف خير وشاح  
 وعلاقة فصمت عرى أسبابها كانت أبر علائق الأرواح  
 كان شوقى خليفا أن يقول مثل هذا وأكثر حين يرى حال العرب اليوم  
 ولكن .. كم تخادع نفسها النفس ، أو سيلبون دعوة شوقى هيهات ان  
 كانوا عرفوا عن دعوة الله لهم بالوحدة أيلبون دعوة إنسان مهما يكن أمير  
 الشعراء .

اللهم أنك قد فرضت علينا الحج ليكون للمسلمين وحدة ورباطا  
 واجتماعا فاللهم فشأنك اليوم مع عبادك الذين صاروا فرقا وشيعا وأحزابا  
 وليس لهم من دينك عاصم ولا من نفوسهم عصام وحسبنا أنت فانت  
 أنت وحدك نعم الوكيل .

## السيف والذهب

قد يطيب للحياة بين الحين والآخر أن تؤلف قصة فنية تلتزم فيها بجميع قواعد القصة التي وضعها النقاد وهذه القصص الفنية نادرة في مجموعات الحياة القصصية ، فأغلب قصصها بعيدة عن المعقولة التي يلتزم بها القصاصون فهي لا يعينها في شيء إقناع المطلع على ما تكتب ولا يعينها أيضا رضاؤه أو عدم رضائه . ولعل شوقي هو أعظم من وصف قصص الحياة - الضاربة في قصيدته الخالدة مضاير الأيام . وأن الحياة حين تؤلف قصصها تبدو لبني الأرض كأنها ظالمة لأن الإنسان لا يعرف إلا عدالة ضيقة الحدود ضئيلة المعالم . أما عدالة السماء فتشمل الكون كله وهو سبحانه وحده يعلم وليس غيره يعلم ما هو خير لعبده فهو يطبق عدالته تقدست أسماؤه بالصورة التي تمكن العدالة أن تتاح لجميع عباده وهو حين يطبقها يشفعها بكرمه ولطفه ورحمته التي كتبها على نفسه .

فشوقي حين كتب أبياته هذه الخالدة التي سأروها لك سجل ما تجرى عليه الحياة في ظاهر أمرها لأن الله وحده هو الذي يملك ما وراء أحداث الأرض من عدالة تشمل الجميع وقد أعجبت بإحصاء قامت به سيدة أمريكية أثبتت به أن الناس جميعا يتمتعون بأنصبة متساوية من السعادة تقابلها أنصبة متساوية من الشقاء فكل إنسان حظى بقدر من السعادة يعدل ما أصاب الآخرين وناله قدر من الشقاء نال مثله الآخرون . والله وحده يعلم مداخل السعادة والشقاء في نفوس أبناء البشرية . فقد يقع الحدث الهين ولكن الشقاء به في نفس من وقع عليه يكون فادحا . وقد ينال إنسان ما خيرا ضئيل الشأن ولكن سعاده به تفوق كل سعادات الدنيا .

يقول شوقي :

فطيع يزجيه راع من الدهر	ليس بلين ولا صلب
أهابت هراوته بالرفاق	ونادت على الحيد الهرب
وصرف قطعانه فاستبد	ولم يخش شيئا ولم يهرب
أراد لمن شاء رعى الجديب	وأنزل من شاء المخصب
وروى على ربه الناهلات	ورد الظماء فلم تشرب
وألقي رؤوسا إلى الضارين	وضن بأخرى فلم تضرب
وليس يبالي رضا المستريح	ولا ضجر الناقم المتعب
وليس بمبق على الحاضرين	وليس بياك على الغيب
فيا ونحهم هل أحسوا الحياه	لقد لعبوا وهي لم تلعب

وهكذا الحياة إذن حين تؤلف . ولكن القصة التي سأرويها لك اليوم كاملة الخطوط لن ترى فيها عوجا ولا أمتا وإن كنت ستري فيها أموال مصر كيف امتهنت ، وأقدار الناس كيف ضاعت . وسترى فيها الرعب وكيف فشا في حياتنا في عهد الطغيان الأسود والجبروت العاتي .

كان أستاذا في الجامعة وقع عليه الاختيار ليكون وزيرا فكان . وكان قد استطاع على مدى أيام حياته أن يبني لنفسه ولبنيه عمارة يسكن بها هو وأولاده ولم يترك بالعمارة شقة خالية لابنه حين يتزوج مطمئنا إلى القانون الذي كان ساريا في ذلك الحين أن من حق صاحب العمارة أن يخلى شقة في ملكه أو أكثر اذا كان الإخلاء من أجل أبنائه أو بناته عند الزواج . ولكن هذا القانون ألغى فجأة ودون مناقشة وبأمر قاطع باترلا مراجعة فيه ولا تدبر وبلغ ابنه سن الزواج ووجد العروس ولم يبق إلا أن يجد

العروسان سقفا يضمهما . ووقع الوزير في حيرة . ووجد بين سكان عمارته شخصا فردا يستأجر شقة ولكنه لا يقيم بها وإنما له غيرها فظن في سذاجة أنه يستطيع أن يفاوض صاحب هذه الشقة أن يتركها لابنه . ولكن كيف ؟ ومتى كانت الإنسانية عاملا ذا قيمة في دنيا الجشع .

رفض الرجل وراح يرسل البرقيات إلى كل ذى سلطان . أن الوزير يريد أن يخرج من مسكنه وأنه يستغل منصبه . وملأ الرعب قلب الوزير المسكين وانطوى قطا هالعا . وذهب إلى صاحب الشقة يعلن أنه تنازل عن رجائه وأنه لا يريد الشقة وأنه ليس من الضروري أن يتزوج ابنته على الإطلاق . فلابأس أن يظل الابن بلا زواج إذا كان في زواجه سجن الأب وسحقه . فقد كان الوزراء من أساتذة الجامعة أكثر الناس قربا إلى الحيوان والتدمير إذا ما غضب عليهم السلطان أو أحد الأمراء المقربين للذات العلية .

ولكن هل سلم الوزير .. هيهات كان كلما لقي وزيرا من أمراء الزمان طالعه في جهامة - ما حكاية الشقة ! ! ويقول الوزير المغلوب على أمره - لا .. لأشياء .. لقد صرفت النظر عنها .

كان الوزير أستاذ الجامعة السابق يدرى كل الدراية أن العلم الذى يحمله يجعله عرضة للتمزيق والتحقيق ، ففي عصر الجهلاء يصبح العلم تهمة وتصبح الثقافة جريمة لا تغتفر . فأبشع أنواع الجهل العلم الناقص ورحم الله شوقي أيضا حين قال .

كل تعليم تراه ناقصا سلم رث اذا استعمل خانا  
وفى يوم اجتمع مجلس الوزارة برئاسة القطب الأعظم وجرى الحديث  
من فرد واحد يلقي الأوامر لتصبح نفاذا !! ولاحظ الدكتور الوزير أن

- ٣٥ -

الذات العلية مشيخة عنه فأوجس كل شرور الدنيا وانتهى الاجتماع ونظر  
السلطان إلى الوزير المدعور .

- لاتنصرف قبل أن أراك

- أمرك

ستعرف متى ألقاك حين أرسل إليك

- امرك .

ودلفت الذات العلية إلى حجرتها الخاصة وظل الوزير مرتجفا في انتظار  
طال ثم جاء له السادن حامل الأختام وقال له  
- ما هذا يادكتور الذى صنعته ..

- إبنى لعنة الله عليه أراد أن يتزوج .. وهل تأتى المصائب إلا من  
الأبناء هل كان لابد له أن يتزوج وهلى ستخرب الدنيا إذا لم يتزوج سخف  
وحماقة انصبت على دماغى وعلى كل حال أنا اعتذرت لصاحب الشقة  
وسحبت رجائى الذى توجهت به إليه ولاداعى أبدا أن يتزوج إبنى .  
- إسمع أنت ستدخل الآن إلى السلطان قبل أن تدخل حجرته ستجد  
كوب ماء وأقراص فليوم للتهدة خذ قرصا .. أو لعل من الأحسن أن تأخذ  
قرصين وادخل ولا تناقش واسمع فقط .  
- امرك ..

وتوجه الوزير مرتعش الأطراف وفتح باب فوجد الأقراص والماء  
فتناول ثلاثة أقراص . وانتظر لحظات يقرأ الآيات القرآنية لعلها تثبت بعض  
قلبه الذى أصبح وكأنه بين مغالب طائر يهوى فى السماء صعدا .. ثم قرأ  
الفاحة وبسمل ويبد توشك على الشلل فتح الباب وطالعه الهول الآخذ  
والرعب المبين .

- ما هذا يادكتور ..

وصمت الدكتور وقد أصبح فقدان الوزارة أملا له في تلك اللحظة .  
فهو إنما كان يخشى مايلى هذا الفقدان من سجن وعذاب وتمزيق أعراض  
وأجساد أو كان يخشى التشريد في أقطار مصر بلا مأوى ولا ملجأ ولا  
امان .

صمت وظل البركان نائرا حتى إذا استوقفت الثورة وبلغت قممها قال  
السلطان

- مر على السادن حامل الأختام قبل أن تغادر إلى بيتك . واستطاع  
الوزير أن يستجمع لسانه ليقول  
- أمرك ..

وخرج وذهب إلى السادن حامل الأختام منتظرا أن يصدر إليه الأمر بأن  
يلزم البيت ويترك الوزارة ولكن أمرا عجيبا حدث قال السادن حامل  
الأختام .

- مثل هذه الأمور لا تكون هكذا كان عليك أن تخبرنا ونحن نتصرف .  
- لم أكن أعرف .

- على كل حال خذ هذان . مفتاحان لشقتين مفتوحتين على بعضها  
البعض من شقق الحراسات في أفخم عمارة في القاهرة وأخذ الوزير  
المفتاحين وهو لا يصدق نفسه .

ولم يجرؤ الوزير وهو يركب سيارة الوزارة في طريقة إلى البيت أن يفكر  
ولو لحظة واحدة أكانت الحراسات قد وضعت على الناس لتصبح أمواهم  
ملكا خاصا للذات العلية والأمراء والسدنة وحملة الأختام والقهاقم .

- ٣٧ -

لقد كان التفكير جنابة عقوبتها في تلك الأيام لها من الشراسة والفجور  
ما يجعل الإعدام معها رحمة وشفقة ولطفًا.  
ومع ذلك ما زالت هناك ألسنة تلهج بمدح تلك السنين السفاكة التي  
انقذنا منها الله بواسع فضله وغامر نعمته جل جلاله وسبحانه وتعالى عما  
يشرك به الطغاة المشركين له الحمد وله الشكر فإنه لا موئل للإنسان  
إلا كرم وجهه .

## ماذا فعلتم بأيكم

أشاهد في هذه الأيام رواية زينب التى ألفها فى أوائل هذا القرن ابو الرواية المصرية الدكتور محمد حسين هيكل باشا ، وهكذا تعتبر هذه الرواية تراثا أدبيا بدأت به الرواية المصرية مسيرتها حتى بلغت اليوم ما بلغت .

وقد قدّمت هذه الرواية فى السينما المصرية وهى صامته ثم قدّمت فى أول الخمسينيات ناطقة . ولا أعرف شخصا ذا اهتمام بالأدب عامة وبالقصة خاصة لم يقرأ الرواية ويستمتع بها .

وحين ألف الدكتور هيكل باشا هذه الرواية كان المذهب السائد فى الأدب الغربى هو المذهب الرومانسى فالرواية رومانسية ناعمة تصور الريف المصرى الطيب وترسم الحب الصادق الذى يصطدم مع الظروف والتقاليد الريفية التى لم تكن حتى ذلك الحين تعترف بالحب .

وجمال هذه الرواية أن تبقى كما هى تمثل بداية الرواية المصرية وتمثل الريف المصرى الناعم الهنىء السلس المجرى الصافى البمير الطيب القلب ، وقد كان من المستحيل فى تلك الأيام أن يحاول أى فرد أو أى حب مصارعة التقاليد الريفية أو الوقوف فى تيارها الذى ينزل فى نفوس الفلاحين منزلة العقيدة أو قريبا من منزلها قريبا يجعلها تختلط بالايان وبالدين .

فرواية زينب إذن لم تكن صراعا طبيا ، ولا كانت هناك طبقات فى ذلك الحين بل كان الجميع فى بوتقة واحدة يأخذ القوى منهم بيد الضعيف



- ٣٩ -

والصحيح منهم بيد المريض ، وكانت أجواء القرية كلها حبا خالصا وأخوة وتكافلا ولم يكن قد ظهر في أفقها من يثير قوما على قوم ولا طبقة على طبقة مازال الريف حتى يومنا هذا وبعد كل المحاولات العنيفة التي بذلت للفرقة بين أبنائه ما زال حتى اليوم لا يعرف الطبقات ولا يطبق الشيوعية ولا يقبل الكراهية حياة له ودينا أو شعورا .

وربما عرف الصعيد الثار وهذا جانب بعيد كل البعد عن سائر ما يعرفه الريف من أخوة وصداقة وحب فالمكان يجمعهم وما يصيب الفرد منهم يصيب الجميع .

وفي هذه الأجواء الصافية الشفيفة كتب هيكل باشا زينب . فبالله عليكم يا من كتبتم زينب الجديدة ماذا فعلتم بأيكم ؟  
ما هذا الحقد وتلك الكراهية وذلك السواد القائم وهذه السخيمة المقيته التي طمستم بها معالم الرواية ومن أين أتيت بهذه الشخصيات الحقيرة النفس الوضيعة الأهداف الرخيصة التصرف ؟

هل تتصورون أنكم ما دتم قد أنعمتم برتبة البشوية على شخصية روائية لا بد أن تنعموا عليها مع الرتبة بالسفالة والانحطاط والجشع والتآمر والسعار وجمود الحس وانعدام المشاعر هيئات ... قد جهلتم وإني سأذكر هنا أسماء باشاوات وأرجو أن أعرف رأيكم فيهم ما رأيكم في أحمد عرابي باشا وشريف باشا ومحمود باشا سليمان الذي رفض الملك قبل تولية السلطان حسين الذي جمع الأحزاب في داره وأزال ما بينهم من خلافات ود . محمد حسين هيكل باشا ود . مشرفة باشا ود . شوشة باشا وعشماوى باشا ود . على ابراهيم باشا عميد الجراحة ود . النياوى باشا الجراح ود . ابراهيم شوقي عميد طب الأطفال ود . عبد الوهاب مورو

باشا الجراح الشهير ولطفي السيد باشا ود . عبد الحميد بدوى باشا وعبد الخالق حسونه باشا أمين عام الجامعة العربية وسابا حبشى باشا وأحمد مصطفى باشا المستشار ومحمد صفوت باشا المستشار ، هذه الأسماء أوردتها من الذاكرة وقصدت أن أتجنب ذكر جميع الباشوات الذين لم يكن لهم شهرة إلا فى العمل السياسى فى ميدان السياسة يختلف الرأى حول رجالها وأنا إنما أريد أن أقدم أسماء لم يختلف حولها رأيان ولو أنك أنعمت النظر فى شأن هؤلاء لتبينت حقيقة يريد المؤلفون أن يخفوها عن عمد مزيف مزور سئى القصد فهم حين يكتبون عن الباشوات لابد أن يجعلوهم جميعا أثرياء ثراء فاحشا ويستخدمون ثرائهم فى غرض واحد هو الإساءة إلى خلق الله لوجه الشيطان وحده ما أجهلكم بعظائمكم .

أكان عراى ثريا أم مصطفى كامل أم هيكل أم طه حسين أم منصور فهمى أم مشرفة أم كل هؤلاء ، هذا إذا كان الثراء جريمة وإنما لا غفران له هذا هذر قابلناه فى فترة سوداء من تاريخ أدبنا ولكن اعتقد أن هذه النغمة أصبحت نكراء كاذبة تشوه وجه مصر وعظماؤها بغير كسب أدبى أو وطنى أو سياسى .

وبعد فإذا صنعتم بأبيكم ومن أذن لكم أن تشوهوا الرواية الأم فى الأدب العربى هذا التشويه المريع ؟ لقد مزقتم رواية زينب شر تمزيق ولقد ضحكنا منكم ضحكات مريرة وأنتم تدخلون شخصية لطفي السيد والمؤلف برئ من ذلك كل البراءة فلطفي السيد باشا كان بمثابة خاله واستأذه وما يتصور الدكتور هيكل باشا أن يجعل منه شخصية روائية ولقد ضحكنا ضحكنا على شر البلية وأنتم تحاولون أن تجعلوا من ابن الباشا

- ٤١ -

شخصية موازية للدكتور هيكل من قال لكم أن هيكل باشا كان شيوعيا مثل هذا الفتى الذى رسمته والذى مثله بكل أسف ممثل أحبه وأعجب به وأشعر أنه قادر على تقريب الناس إليه ومن هذه الفتاة فى الحمار الأسود الحزينة المكشورة عن أنيابها المتحفزة كنمرة. شرسة كذئبة أهذه زينب شخصية هيكل باشا. أم هى زينب. بتروفيسكى أم ساشا المصرية ومن هؤلاء الشخصىص جميعا من هذا الفتى الخاقد الملى بالشر أهذا ابراهيم الذى رسمه هيكل نسمة من هوى وخلجة من نقّاد محب وأنشودة من الصفاء ومن هؤلاء ومن أولئك الأمهات ومن هذا العمدة وما هذا الهراء؟ فى هذه الرواية التى تدعون أنها زينب كل الشخصيات المفتعلة متهرئة منهرة غير متكاملة.

ولكم كتبت أن كاتب السيناريو له رؤيته الخاصة ، وكم غير كتاب سيناريو من روايات لى فما غضبت لأنهم ابقوا الفكر الأساسى الذى كتبت له الرواية .

أما هذا الذى صنعتم بزینب فعجبية من عجائب الدهر . هو تمزيق استحياء وهو اعتداء لا تطور وقتل لا إحياء ولكن زينب هيكل ستخلد الى الأبد فى كتاب .

وإننى أحذر المشاهدين أن يظنوا أن الذى شاهدوه له صلة بزینب هيكل أول رواية فى تاريخ الأدب العربى وإذا كانوا يريدون أن يعرفوا زينب فيقرأوها فى كتاب أو يشاهدوا أحد الفيلمين السينمائيين اللذين ظهرا عنها .

أما هذا الذى يصنعه التلفزيون فليس زينب من قريب أو بعيد .  
يا كاتب السيناريو ان كنت أنت الكاتب الذى أعرفه فقد أذهلتنى فأنا  
أعرفك كاتباً قديراً وأعرفك مخرجاً مجيداً ، فما هذا الذى تصنع ؟  
سيدى الأستاذ رواية زينب ظهرت فى مصر ولم تظهر فى الاتحاد  
السوفيتى ورواية زينب رومانسية وليست بأى حال من الأحوال ولن  
تكون رواية شيوعية كما صنعتها والعجب أنتى اعرف عنك أنك أبعد ما  
تكون عن الشيوعية والمخرج زميل العمر الذى أخرج المسلسل أبعد ما يكون  
عن الشيوعية فما هذا الذى تصنعان .

احسب أنكما معذوران لقد تمكن الشيوعيون أن يجعلوا كاتباً حراً  
ومخرجاً عميق الديمقراطية يقلبان زينب التى ألفها الدكتور محمد حسين  
هيكل باشا رواية شيوعية والأمر من قبل ومن بعد للواحد القهار ..

## خطاب وتعليق ..

جاءنى هذا الخطاب من الأستاذ أحمد محمد حسين هيكل المحامى ونجل أستاذنا المغفور له الدكتور هيكل وأنى أنشر الخطاب وأعلق عليه ..  
أخى ثروت لعلك بمقالك اليوم عن زينب المزعومة عبرت عما كان يحيش بصدرى وصدر كل الذين شاهدوا هذا التزييف الذى تعرضت له أول قصة فى الأدب المصرى الحديث ، وأقول التزييف لأنه ما من شخصية من شخصياتها تمت بصلة حقيقية لأصلها فى الرواية الأم كما سميتها .. وما من معنى من المعانى التى عبرت عنها تلك الشخصيات المزيفة تمت إلى المعانى التى عبرت عنها شخصيات الرواية الحقيقية بصلة أو سبب وإذا كان مثل ذلك يحدث فى شأن زينب وهى القصة التى قرأها الملايين فى أصلها المكتوب وشاهدتها ملايين أخرى على شاشة السينما .. واحتلت مما كتب النقاد والدارسون آلاف الصفحات فما بالك بما يمكن أن يحدث لروايات لم تتح لها مثل هذه المكانة .. يا حسارة على ما يصنعه التلفزيون بأدبنا كله ..

وما أظن صاحب زينب الحقيقية ليرضى عن هذا الذى يفعله التلفزيون بالأعمال الأدبية وما أظن أننا - وقد تحملنا أمانة حفظ تراثه .. وسنحمل هذه الأمانة إلى النهاية - لنقبل أن نبقى مكتوفى الأيدي تجاه هذا العبث .. ولو أن التلفزيون يريد - كدأبه - إرضاء ميول جمهور المشاهدين فلعله خانه التوفيق هذه المرة كما خانه من قبل فى أعمال أخرى رغم النقد الكثير الذى وجه إليه حينئذ .. وما إخراج التلفزيون لحياة العقاد بعيد . ولكن أحدا لا يتعلم الدرس ولا يعيه .. على أن الذى لا يمكن

—٢٤٤—

القبول به تحت أى ظرف من الظروف هو أن يتم ذلك على حساب خير ما فى فكرنا وأدبنا الحديث من أعمال كبرى نعتز بها ويفخر بها الوطن ومستوليتنا الأدبية والوطنية تقتضينا أن نحول دون أن يشوه العابثون تراثنا .. ومن هنا فإني أناشدك عرض الأمر بصفة عاجلة على مجلس إدارة اتحاد الكتاب ليرى فى الأمر رأيه وليصل من ذلك إلى ما يكفل حماية أعمالنا الأدبية الرفيعة من عبث العابثين .. هذا هو الجانب العام فى الموضوع .. أما عن مسئوليتي الخاصة فأود أن أبلغك أن هذا الذى حدث لم نأذن به ولا جرى اتفاق بشأنه مع التلفزيون وسيكون له حديث آخر بيننا وبينه بالطريق الذى رسمه القانون ودمت لأخيك ..

أنا أعرف يا أخى أحمد مقدار الألم الذى تعرضت له وأنت تشاهد رواية أليك الخالدة تتحول الى رواية أخرى لاصلة لها بها .. وأعرف أيضا الأسى الذى تعرض له إخوتك وإخوتى وهم يشاهدون رائعة أيهم يمثل بها بدلا من أن تمثل ونحمد الله أنه أكرم المؤلف العظيم ولم يشهده .. ولكن قد يهون الأمر عليك وعلى إخوتك إذا قدر لك أن تشاهد سائر البرامج فى التلفزيون فسترى يا أخى المد الشيوعى وقد طغى طغيانا مريعا على هذه البرامج .. وسترى أنك رددت بجهد الشيوعيين إلى تلفزيون الستينات .. وأنت تعلم يا أخى كما أعلم أنا أن هؤلاء الشيوعيين مها يفعلوا فلن يصلوا إلى قلوب الشعب أو مشاعره فإنهم سيجدون دون سموهم لا إله إلا الله محمد رسول الله تردهم فاشلين خائبين وسيجدون الإيمان بالله عند إخواننا المسيحيين يقصف أقاليمهم ويحطم إلحادهم مدحوزا مهانا ... ولكن الخطر مع ذلك ذاهم وويل لها أنت ذا ترى الموجهة التى جرفت الرقباء - وهم معذرون - لا يسمحون إلا بالروايات التى تهاجم

كل ذى لقب أو ذى مكانة أو ذى كرامة .. وماذا بيدهم أن يفعلوا وهم يرون الشيوعيين يملأون الدنيا بصراخهم .. أن الشرف لا يجتمع مع الكرامة وأن الخلق لا يكون لمن يحترم نفسه ..

وماذا بيدهم أن يفعلوا وهم يرون الشيوعيين يرفضون أن يكون الإنسان إنساناً إلا إذا كان معذباً أما العاملون الكادحون على مكائهم أو يجهدهم أو بفكرهم أو بإشرافهم فسيحق لهم وبعداً ..

فالتطبيب والمهندس والمحامي والمحاسب والكاتب والمعلم كل هؤلاء طبقة برجوازية ذات تطلعات ..

والرقباء ليسوا شيوعيين ولكنهم يرون وجه الإعلام قد استولى عليه الشيوعيون فهم يصرخون في جميع الصحف وهم يطلون عليك في أغلب البرامج ..

والأمر يا أخى أحمد ليس مجرد إعلام أو مقالات أو برامج إنما الأمر أخطر من ذلك وأجل شأننا ..

إن الحرية الاقتصادية تتعرف وجه الدولة من إعلامها فإذا طغى هذا اللون الأحمر على صوت الدولة فهذه هي هياكل أن يطمئن أصحاب رؤوس الأموال المصريون أن يدخلوا بأموالهم إلى ميدان التصنيع وإذا كان المصريون يخافون فالخوف أعمق وأشد في نفوس رؤوس الأموال الأجنبية سواء أكانت لدول أم لأفراد ..

ونحن كما تعلم يا أخى دولة أملها الوحيد في الإزدهار الإقتصادى والإزدهار الإقتصادى يعتمد على الاستقرار وحرية رأس المال واطمئنائه والشيوعيون كما تعلم أملهم في الوصول إلى الحكم معتمدين على تخريب الاقتصاد المصرى وزلزلة الثقة فيه عند العالم أجمع دولاً وأفراداً ..

وهكذا ترى يا أخى أحمد أن زينب جرى عليها ما يجرى لكل الأعمال  
 الفنية الرفيعة فى قفرتنا هذه ...  
 ولكن هون عليك يا أخى فوالدنا الدكتور هيكل خالد مهما تعبث  
 بروايته موجات عارضة لابد لها أن تزول فمحمد حسين هيكل هرم ضخم  
 هيات أن يؤثر فيه شيء وقد انتهت كارثة هذه الرواية التلفزيونية وما  
 خلفت فى نفوس عارفى أببك إلا بعض الحسرة ما تلبث أن تزول والكتاب  
 من بعد ومن قبل هو الخالد .. أما هذا الزيد فأنت تعلم أنه جفاء زائل  
 لا قيمة له ودائما يا أخى أحمد لن يصح إلا الصحيح .



## لكل عصر جبرتي

أقرأ في هذه الأيام الجزء الثاني من كتاب تاريخ الحركة القومية لإمام مؤرخي العصر الحديث الأستاذ الجليل عبد الرحمن الرافعي وليست هذه المرة الأولى التي أقرأ فيها الرافعي ولا هي المرة الثانية ولكن الذاكرة لاتعي كل شيء وكثيرا ما تكون القراءة الثالثة أو الرابعة وكأنها القراءة الأولى وهذا الجزء الذي أقرأه مفردا تقريبا للحملة الفرنسية على مصر وقد جاء فيه أن نابليون أصدر في ٢١ ديسمبر سنة ١٧٩٨ منشورا يقول فيه أنه عطل الديوان منذ شهرين عقابا لأهل القاهرة على الثورة التي قاموا بها ثم يذكر الأستاذ الرافعي نظام هذا الديوان الجديد . ويقول أنه جاء أوسع نطاقا من نظامه القديم ، فهو مؤلف من هيتين ( الديوان العمومي ) ويسميه نابليون ( الديوان الكبير ) والديوان الخصوص .

أما العمومي فيكون من ستين عضوا يمثلون أعيان مصر ومختلف الطبقات فيها وقد ذكرهم الرافعي جميعا أما الديوان الخصوص فيقضى أمر تأسيسه بأن ينتخب من أعضاء الديوان العمومي وعدده أربعة عشر عضوا .

ويقول الكتاب بعد ذلك بوضع صفحات أن نابليون ترك مقاليد الأمور عند سفره في حملة سوريا لرجلين اشترا بالحكمة والدهاء أحدهما الجنرال دوجا والآخر المسيو بوسيليج ولم يدخر هذان الرجلان وسعا في اتباع سياسة الحكمة والمحاسنة إزاء الشعب ومجاملة أعضاء الديوان واحترامهم ورعايتهم مما حببها إليهم وخاصة بوسيليج الذي كان لا يألو جهدا في

كتساب قلوب أعضاء الديوان بالمودّة والحاملة والمباشطة ورعاية الحرمات ومبادلتهنّ الزيارة ومجالستهم. في أنديتهم واقتباس بعض تقاليدهم فقد شوهد مرارا في منزل السادات جالسا على الديوان يشرب القهوة على الطريقة المصرية ويدخن الشيك ويطارح جلساءه فنونا من الحديث في شئون العلم والعمران ونظام الحكومات في الغرب والشرق. وكانت له مطارحات طويلة مع الشيخ المهدي الذي يعده أكثر أعضاء الديوان علما وفهما ومعرفة.. وهكذا اكتسب الديوان نفوذا كبيرا في إدارة شئون الحكومة بما كانت ترجع إليه السلطة الفرنسية في مهات الأمور فلم يكن الجنرال دوجا والمسيو بوسيليج شأنًا من الشئون المتعلقة بإدارة الأمن في القاهرة أو بكل ماله مساس بالشرعية وإدارة الضرائب أو بالتقاليد والعادات المرعية إلا بعد مفاتحة أعضاء الديوان واستشارتهم في تلك المسائل وكانت تسمع آراؤهم في معظم الشئون.

وإلى هنا أتوقف عن نيل ماجاء به الرافعي وأصبح والهفته على مصر ويا حسرتا على ما حل بها في سنوات الطغيان والقهر والجبروت أيحكم المحتل الغاصب مصر بالشورى وحكمها ابنها الذي ينتمى بعروقه إلى ترابها بالحديد والنار والقتل والسجن والاعتداء على الأعراض والأديان والشرف والكرامة بينما كان الفرنسيون المغتصبون يراعون المشاعر الدينية والمشاعر الإنسانية.

لبس ما رأينا العهد وقد كنت خليقا أن أحاول نسيانه فلا أذكره وإنما أذكرني هذا الذي طالبنى من كتاب الحملة الفرنسية على مصر، فقد حرك الكلام الذي قرأته والذي نقلته إليك الأشجان والآلام وآثار الحسرات والأسى أو نحكم بالشورى منذ ما يقرب من مائتي عام وفي عهد طاغية

أيضا من طغاة التاريخ هو نابليون وتحجب عنا الشورى والحاكم مصرى والمحتل قد جلا وأصبحت البلاد جميعها خالصة لأبنائها والعصر قد تقدم الحكم فيه إلى قم سامقات من الديمقراطية وحرية الفرد وجعل آدميته فوق كل اعتبار لاستثناء لهذا إلا فى الدون الشيوعية التى حطمت كل نبيل وشريف فى حياة الإنسان بادئة بالدين ترفضه وتحاربه وبالأإنسان تستذله للقامة العيش وتمحق كرامته ثم تحرمه أيضا من لقمة العيش التى رفعها شعارا .

وأعود إلى كتاب الرافعى لأقف معه وقفة أخرى فيها شيء من المقارنة التى تملأ النفس لوعة وتمض القلب حزنا ومرارة ، يقول الرافعى فى غضون ذلك - يقصد الاعداد لحملة سوريا - حل موسم الرؤية لاثيات رمضان عام ١٣١٣هـ فأنتهزها نابليون فرصة طيبة وكانت قبل مقره بأيام فأمر بالمبالغة فى الاحتفال وتفنخيم موكب الرؤية تملقا لإحساس الأهالى وكان الاحتفال عظيما بالغنا سار فيه طوائف الصناع كالمعتاد وذهب المحتسب بهذا الموكب إلى بيت نابليون بالأزبكية وأبلغوه رؤية الهلال فبالغ فى الحفاوة

وإلى هنا ينتهى سرد الرافعى ثم هو فى ذكاء شديد يورد ما كتبه الجبرى مؤرخ هذه الفترة أنقله إليك فلما تدرجوا فيها وأطلق لهم الفرنساوية القيد ورخصوا لهم وسايروهم - رجعوا إليها - إلى البدع - وانهمكوا فى عمل موالد الأضرحة التى يرون فرضيتها وإنها قرية تنجيهم بزعمهم من المهالك وتقرهم إلى الله زلفى فى المسالك . فرمخوا فى غفلاتهم مع ما هم فيه من الأسر وكساد غالب البضائع وغلوها وانقطاع الأخبار ومنع الجالب ووقوف الإنكليز فى البحر وشدة حجزهم على الصادر والوارد حتى غلت

أسعار جميع الإصناف المجلوبة من البحر الرومى ( البحر الأبيض ) .....  
النخ .

وهنا وقفت مرة أخرة ... يارحمة الله عليك أيها الشيخ الجبرتى ..  
حزنت لأبناء بلدك أن أقاموا الموالد وذكروا الله بالطريقة التى تفهمها  
عقولهم . فإذا كنت تراك فاعلا أو قائلا لو شهدت ما حدث فى بلدك  
نفسها بعد قرابة مائتى عام واليهود يحقون جيشك فى ست ساعات ويخلو  
لهم الطريق من السويس إلى القاهرة ليس فيه جندى واحد . ومجلسك  
التشريعى من أبناء مصر لا الفرنسيين ولا اليهود فى فرحة غامرة وسعادة  
طاغية حتى ليعتلى أحدهم صهوة مقاعد المجلس ويروح يرقص بعد أن عقد  
الحزام على وسطه .

ولكن لاتحزن يا جبرتى فى قبرك لكل عصر جبرتى ونحن مازلنا نعيش  
آثار هذه الفترة وإن كنا قد تجاوزناها والحمد لله .

ولك التاريخ لن يتجاوزها وإنما هى محفورة فيه وإن وجدت الفترة اليوم  
من يدافع عنها لأنه كان متفعها بها أو والغا فى دمائها فالغد سيأتى وتصيح  
الحقيقة هى السيد الأوحى فى الميدان يصحبها التاريخ وتقرأ الأجيال هذه  
الصفحات السود من تاريخ مصر كما نقرأك نحن اليوم يا خالدا الذكر  
يا جبرتى ويوم ذاك سيكون الظالمون قد عرفوا أى منقلب قد انقلبوا إليه .  
فإن الله سبحانه غالب على أمره منذ الأزل وإلى الأبد الأبد .

## الأشجار والأعشاب وصالون العقاد

أقرأ في هذه الأيام كتاب أخى الكاتب أنيس منصور عن أستاذنا وأستاذ الجيل الذى سبقنا والأجيال اللاحقة إلى أن يرث الله الأرض وما عليها عباس محمود العقاد .

وقد عرفت أنيس منذ قرابة ثلاثين عاما وكان التعارف مقاله له فى الأخبار فيها عنف رددت عليها بمقالة فيها نفس العنف بجريدة المصرى . ولم تكن حينذاك قد التقينا ولم تمر على المقاتلين أيام حتى التقينا بدار الأوبرا المصرية وتعارفنا وتوطدت بيننا منذ ذلك الحين صداقة تزداد على الأيام عمقا لم يشبها فى يوم من الأيام إلا ما يزيدنا توثقا وألفة وتقاربا . وهكذا تحقق بيننا المثل السائر الذى لا أومن به لا محبة إلا بعد عداوة ولكنها كانت عداوة يسيرة هينة لم تبق من عمر الزمن إلا أيام لا تكتمل أسبوعا ولكنها أمدتنا بمحادثة ظللنا نتندر بها هو وأنا كلما ساق إليها الحديث بيننا . وأحسب أننى قرأت كل ما كتب أنيس منصور سواء كُتب فى كتاب أو أنتثر فى مقالات .

وأنيس صاحب أسلوب أعتبره من أذكى الأساليب العربية وقد استطاع فى مقدرة فائقة أن يحافظ على الكلمة العربية الشريفة وعلى النحو وأصول اللغة ولكنه استطاع أيضا أن يتفرد بأسلوب خاص تلمع فيه الومضات التى تدل على الذكاء الحاد وعلى الثقافة العريضة فى وقت معا ، ويمتاز أنيس بالاطلاع الواسع الذى يصل إلى مرتبة الإذهال ثم هو يمتاز بشئ أهم من ذلك فهو قادر على أن يستحضر ما حصله عندما يكتب

بصورة لا أحسب أنها تتوافر إلا لقلة نادرة من الكتاب وربما كنت ظالما لأنيس بهذه الجميلة الأخيرة

وما كان لي أن أكتب عن كتاب أنيس الأخير « في صالون العقاد » فإن هذا من عمل الناقد ولست به وقد أوشكت فعلا أن أترك للنقاد هذه الفرصة بل أنتى قد رجوت زميلي الدكتور عبد العزيز شرف أن يتصدى لهذا . ولم أكن قد بدأت قراءة الكتاب بعد . حتى إذا بدأتها بادرت أطلب الدكتور شرف وأسأله إن كان قد بدأ الكتابة فحين علمت أنه لم يفعل عدت أرجوه أن يؤجل مقاله ويترك لي أنا الفرصة . وما كان هذا عن رغبة مني في تحية صديق جمعتني وإياه فترة امتدت إلى ثلث قرن من الزمان ، وإنما كان ذلك لأننى وجدت في الكتاب نفسى وأبناء جيلي وقد استطاع أنيس في ذكاء باذخ أن يقدمنا إلى الأجيال اللاحقة . وهكذا كان من الحتم أن أكتب . فهذا الذى يقدمه أنيس هو حياتى وحياة زملايى ولدائى وأبناء زمانى . وإن كان أنيس قدم هذا فى السديم المحيط بكوكب العقاد فإن العقاد كوكب من كواكب جيلنا كله وليس منا من لم يدر فى فلكه كما درنا فى أفلاك الآخرين من الكواكب أو قل الشمس إذا شئت ولن تكون مبالغا فجيلي سطع عليه العقاد وطه حسين والدكتور هيكى وتوفيق الحكيم والمازنى بل أننا أيضا رأينا نحن العاملين فى ميدان الرواية والقصة جزءا كبيرا من الطريق على ضياء نجيب محفوظ وهو الجيل الذى يفصل بيننا وبين جيل العقاد وطه أو إن شئت فقل أنه الجيل الذى يكون أحد البشائر بيننا وبين الجيل السابق عليه .

ونحن أبناء هذا الجيل الذى ينتسب إليه أنيس منصور عشنا الحرية وهى مزدهرة على رغم الاحتلال الأجنبى وتمتعنا بها والقيود تنحسر عن

أطرافها شيئاً فشيئاً وتزداد ازدهاراً فيها وتألّقاً ثم رأينا القيود تنثنى عائداً إليها تقيد بها ولكن لا تقتلها وتعوق انطلاقها ولكن لا تحبسها ثم تتساقط القيود وتعود الحرية إلى الانتعاش . وفجأة عصف بنا الطوفان وماتت الحرية وشهد بها الجيل الذي جاء بعدنا قتيلاً لا وجود لها فحسب المسكين أن الأصل في الحرية أن يكون قتيلاً فهي عنده كلمة بلا معنى وتاريخ كان ثم اندثر ، وحياة عاشت في مكان ما . ثم قتلت وأمسّت بلا حياة وكأنها لم تكن من قبل حياة .

وبين مد الحرية وانحسارها تكون جيلنا وبدأنا معه مسيرتنا كل من الباب الذي فتحت له الحياة ليرى إلى الحياة ويتعرف عليها ، ورحنا نهل من الموارد الشتى سكارى مفيقين نشاوى متيقظين ، فرحين في أمل ، ناظرين إلى المستقبل دون أن نخاف صلبة تلك الأرض التي نقف عليها ، واثقة خطواتنا حتى وإن كانت مضللة الطريق . كنا نخطئ ونصيب لأننا بشر ولكن كنا نؤمن بأن خطأنا هو الصواب حتى تردنا الحقيقة إلى طريقها ، فلا نفرغ ولا نخاف وما لنا لا نخطئ وكيف نكون بشراً إذا نحن لم نخطئ . ولم يكن الطوفان في حسابنا ولا كان في حساب أحد ، حتى إذا عصف كانت أعوادنا هينة المكسر ولكن كانت جذورها ضاربة في أرض القيم الرفيعة والخلق الأشم والإيمان بأنه هو الله الأحد الفرد الصمد لا نخشى غيره ولا يهزنا سلطان إلا سلطانه جل وعلا كنا جيلاً يتسبب إلى جيل ثورة ١٩ بالمولد كما أنسب أنا إليه ، فأبى واحد من رجالها أو بالصلوات والتعرف على هذه الكوكبة من مشاعل هذه الثورة كما تعرف أنيس بالعقاد ذلك الرجل الذي خرج من السجن فلم ينتظر حتى يذهب إلى بيته ويستريح هونا من عذاباته وإنما يصبح بقصيدته الخالدة انى قد خرجت

منه كما أنا صبحي هم صبحي وعدوى هم عدوى ماختلف لى رأى ولا صال لى لون . وتعرف جيلنا على هيكل إن لم يكن بالصلة الشخصية فيما يروى عنه حين اعتذر له الملك السابق أن رئاسة الوزارة إن تكن أخطأته فهي فى طريقها إليه عما قريب فإذا هو يصرخ فى وجهه باللفظ لا بالحنجرة إنتى حين أجلس إلى مكتبى لأكتب يصغر فى عيني كل كرسى لمنصب فى العالم ، يوشك الرجل أن يقول له حتى كرسى عرشك ومن هذا الجيل عرفنا معنى أن يكون الإنسان كاتباً .. كاتباً فقط بلا كرسى ولا سلطان ولا منصب ورأينا هؤلاء الرجال فى العاصفة يقف العقاد الأبى وهو لا يكاد يجد قوت يومه رافضاً أن يحنى رأسه أو يقول غير ما يعتقد كان هذا الجيل هو إمام جيلنا وكان مثلنا الأعلى .

ويفرت أنيس من جريدة الأخبار وأشهد بعض أصدقائه يعرضون عليه المال فىأبى فى عزة وفى تواضع وأنا أعلم أنه أحوج ما يكون إلى هذا المال الذى يعرض عليه ويعرض عنه . وأشهد العاملين فى الإذاعة وهم يتجنبون الحديث إليه وهو من كانوا يسعون إليه ويتسسم ثم يطلق النكتة اللاذعة الذكية العميقة والخالية من الحقد أو المرارة فى نفس الوقت . فهو يعرف أنهم صغار وشأن الصغار أن نعطف عليهم ولا نحقد .

وتنصب الأشجار الباسقة العملاقة من جيلنا عرفت طريقها إلى السماء بعد أن مهده لنا آباؤنا رجال ثورة ١٩ ويعشوشب بعض أفراد من جيلنا ويظل صغيراً ملتصقاً بالأرض أو بالحضيض لا قيم له حتى يشب بها . فيتهافت هشياً أو نباتاً جافاً هزيراً يذروه الهواء ولا أقول الرياح ويحقد العشب على الأشجار ويحاول أن ينفث حقه فى وقاحات مخدرة متخاذلة



- ٥٥ -

وتضحك أشجارنا فن شأن الأعشاب أن تحقد على الأشجار ومن واجب  
الأشجار أن تشفق على الأعشاب حين يطأها الرجال والنعال .  
وإننى استوحى جملة من العقاد نفسه وأنا أكتب هذا الحديث عن  
الأشجار والأعشاب .  
ورعاك الله يا أخى أنيس أرجعت إلينا نفوسنا ورددت إلى كهولتنا  
صبانا وشبابنا .

وذو الشوق القديم وان تعزى مشوق حين يلقي لعاشقينا  
لقد خلتنى اياك وانت تسترد مقالات كتبها وأحسست أنك نسجتها  
على نول العقاد . فقد صنعت الصنيع نفسه حين كتبت مقالة وجدت وأنا  
أقرأها أنها ظل باهت لطفه حسين . فقد كان جيلنا يريد أن يكون لكل منه  
نوله هو وقلمه الذى يتمتع باللون الخاص به فلا يكون تابعا لأحد مهما يكن  
هذا المتبوع العقاد أو طه حسين . لقد قدمنا يا أخى أنيس إلى الأجيال التى  
تلينا خير تقدمه ولو لم تكن فعلت بكتابك إلا هذا فحسبك فقد صنعت  
جيلا وأقمت بناء باذخا ... هنيئا لك .

## من فيض الكرم

اقرأ هذه الأيام كتابا من أعظم ما كتب كاتبنا الكبير الأستاذ يحيى حتى . الكتاب بعنوان « من فيض الكرم » وهو فعلا من فيض الله سبحانه وتعالى على الكاتب . والكاتب الكبير يحيى من هؤلاء الذين حين تستمع إليهم تحس بشعور عميق أن الكاتب كثير التفكير يعمل عقله في كل ظاهرة من ظواهر الكون وهو لا يكاد يفلت خلجه من خلجات الحياة دون أن يوسعها تفكيراً وتقليباً لكل وجه من وجوها . وهو في هذا الكتاب مؤمن مستقر الإيمان مطمئن بكل الاطمئنان إنه لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله . ويطالبك هذا الإيمان المستقر المطمئن منذ العنوان الأول في كتابه « لماذا أنا سعيد لأنى ولدت مسلماً » .

وتطالبك هذه المقالة بأعظم أنواع الإيمان ذلك الإيمان الذى يمتزج فيه العقل بالروح والفكر بالشعور يقول في مطلع .. « إننا فى الأغلب الأعم نرث ديننا ، نشب على عقيدة آباءنا . فلو كنت مسيحياً مثلاً أسلمت بعد بحث ومقارنة واختيار لحق لى أن أكتب هذا المقال تحت عنوان « لماذا أنا مسلم » فمن أجل الصدق وحده أجعل عنوانه « لماذا أنا سعيد لأنى ولدت مسلماً » ولا أكتبه إلا فى نطاق مبدأ عام : أن الأديان كلها طرق متباينة متفرقة ولكنها تؤدى جميعها إلى ساحة واحدة . ومع ذلك فأنا سعيد لأنى ولدت مسلماً لأن الإسلام جاء للإنسان بنظام يجد فيه فكرة سموه لا انحطاطه ، راحته لا عناءه » .

ثم يمضى الكاتب الكبير في منالته التي أسمح لنفس أن ألخص ما حوته فهو يرى أن هذا النظام الذى أتى به الدين الأعظم يستند إلى وحدانية الله سبحانه وكل تفكير لابد أن يؤدي إلى وحدة الكون في عقل الإنسان . وإزاء الكون الواحد لابد من إله واحد . هو خالق هذا الكون الواحد . وبما أنه خالق الكون كله فهو رب البشر جميعا لا يختص به شعب الرسول دون بقية الشعوب . ويقول الأستاذ يحيى حتى في نقلة أخرى أنه ليس في كتاب غير القرآن مثل هذا الإلحاح المفصل على الإنسان ليعمل عقله ويتدبر الكون ويفهم أسرارهم حتى لقد ارتفع طلب العلم إلى مقام الفرائض . ثم يقول الكاتب الكبير أن العقيدة علاقة حميمة بين الخالق والمخلوق لاحتاج لوسيط . ويمضى الأستاذ يحيى في مقاله على هذا النسق الرفيع من المنطق الذى يجعل الإيمان أمراً يحتمه العقل وإذا سرنا عمقا مع مقالة الأستاذ يحيى هذه لوجدنا أن الإنسان الطبعي غير ذى العوج في المنطق أو الفهم ، وغير ذى الهوى لابد أن يؤمن بوحداية الله وبعظمة الدين الاسلامى وسموّه وتمكنه . وإن دعوة الكتاب المنزل للتفكير هي وحدها أعظم دليل على قوة الدين ومثانيه وأنتك لتذكر آية واحدة من القرآن فلا تملك إلا أن تخر ساجدا للواحد الديان ، وفي أنفسكم أفلا تبصرون ، سبحانه جل جلالك .

وتذكر هذه الصلة المباشرة بين الإنسان وبين ربه فترسخ في نفسك عظمة الخالق . فالخالق وحده هو الذى يجعل نفسه موثلا لكل الناس وليس لفئة دون فئة ولا حتى لاتباع دين دون دين آخر . وقد يطيب لى أن نتعمق معا ذلك العنوان الذى اختاره الأستاذ يحيى . لماذا أنا سعيد لأنى ولدت مسلما فقد يدخل في روع البعض أن معنى ميلادى مسلما أننى لم يكن لى اختيار فى عقيدتى وإنما هى فرضت علىّ بحكم المولد وهذا معنى مرفوض

جملة وتفصيلا . فإننا نولد مسلمين ونظل مسلمين بحكم المولد حتى نصل إلى مرحلة التأمل والفكر حينئذ نتمتع ديننا ونلبث عليه مختارين بالحرية الكاملة وبالفكر البعيد عن كل مؤثر خارجي وإن فعلنا غير ذلك نكون منافقين مخادعين لأنفسنا وللناس جميعا . ويكون إسلامنا غير مقبول عند الله لأنه سبحانه في علياء سماواته رضى لنا الإسلام ديننا على أن ندخله مختارين لامرغمين أحرارا لا تابعين .

والآيات كثيرة كقوله سبحانه لنبه ﷺ « لست عليهم بمسيطر » وكقوله سبحانه « فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب » والآيات في هذه المعنى متواترة . فإذا عجبت معى لقوم يريدون أن يجعلوا من أنفسهم أنبياء ومسيطين في وقت معا ويريدون أن يكونوا مبليغين وماهم بمبليغين ومحاسبين وما هم بآلهة . فإن لم يكن هذا هو المروق والفوضى فإذا يكون . وأنتقل في ربوع الكتاب القيم « من فيض الكرم » للأستاذ يحيى حتى فأقف عند مقالة له بعنوان « لييك اللهم » يقول في مطلعها ، « نويت أن أصلي نويت أن اصوم ، نويت أن أحج ، يتطلب الإسلام ممن يؤدي فرائضه أن يكون أول شيء يفعله هو أن يحزم أمره ويعقد نيته على أداء الفريضة ولو سرا بينه وبين نفسه والجهر بها أفضل ينطق اللسان وتسمع الآذان ويستقر في الوجدان ويتجسم المعنى في كلمات واضحة لها رنينها ومقالها وأرجحها في عقد النية وإعلانها توفيراً لكل الضمانات على صدقها وقضاء على نوازع التشكك والتردد . وهو التوقيع على صك التعهد والإحساس بالالتزام وإعلانه وقبول تحمل مسؤوليته . فهو يتطلب منه أن يتيقظ كل التيقظ لما هو قادم عليه من قبل أن يقدم عليه فلا يؤديه أداء آليا . وذهنه سارح أو غافل أو مشغول بأفكار ومطامع » .

إلى أن يقول الأستاذ يحيى « لاعجب أن بدأ البخارى بحديث شريف .  
 كأنه لحن افتتاحية لسيمفونية عظيمة لا حد لـإعجابى به وحجى له ولا ينقطع  
 لسانى عن ترديده كأن كلماته فصوص من الماس » ... إلى أن يذكر  
 الحديث الشريف وهو قوله عليه الصلاة والسلام .. « إنما الأعمال بالنيات  
 وإنما لكل امرئ ما نوى » .

وقد أعجبت بهذه المقالة فى الكتاب كل الإعجاب ورحت أفكر وما  
 لبث أن ومض ذهنى خاطر مضىء كأنه نور مشيع . إنما الإسلام كله  
 مسئولية ونية ، المسئولية هى ظاهر الأعمال والنية هى الباعث الخفى . ونحن  
 أمام البشر أجمعين ليس لهم منا وليس علينا لهم إلا الأعمال إما خافيه  
 نفوسنا فهم لا يريدون منها شيئا وإن حسبوا أنهم يعلمون . اما نحن أمام  
 الخالق فمحاسبون على العمل وعلى النية جميعا . وقد نخطئ فى عملنا مع  
 البشر فيحاسبنا البشر حسابا عسيرا لأنهم لا يعرفون ما تنطوى عليه ضمائرنا .  
 أما إن أخطأنا عن غير قصد فى مسئوليتنا الدينية أمام الله سبحانه الذى يعلم  
 السر وأخفى والمطلع على طوايا النفس واحنائها فإنه يحو عنا خطانا وكأننا  
 ما أخطأنا . ولذلك فإننى أندھش حين أسمع قائلا يقول لآدمى « ياأخى  
 إغفر خطأ فلان فإن الله يغفر ، وهذا منطق مقلوب إن الله يغفر لأنه الله .  
 ولأنه الرحمن ولأنه الرحيم ولأنه الغفور ولأنه المطلع على خفايا الضمائر  
 وأعماقها . أما البشر فما هو برحمن ولا هو برحيم ولا يغفور ولا هو بمطلع على  
 الضمائر وإن ادعى ذلك . ومن أجل هذا فإنه لا يغفر إلا القوم الأقربون إلى  
 الله جل علاه .

ومن هنا أعجب معى مرة ثانية وثالثة وألفا من هؤلاء الذين نصبوا  
 أنفسهم قواما على ديننا . أين هم من ذلك وهووا وضلوا وضللوا وخاب

سعيهم . وفشل رجاؤهم من أى تشريع أعطوه لأنفسهم . هذا الحق . وما هو لهم حق . أيحسبون أنفسهم آلهة . أين هم من ضمايرنا ومن إيماننا الذى لا يدرىه إلا الله وحده . والذى اختص نفسه سبحانه بالاطلاع عليه أم يريدون أن يجعلوا الناس أمامهم يقومون بمظاهر الدين . وما يبدو منه ، أفهذا هو الدين عندهم ساء ما يحكمون . أن الدين لله وحده . وهو وحده سبحانه موثلنا وملاذنا إليه صلاتنا وصيامنا وزكاتنا وحننا . وإن لم نؤد هذه الفروض بالنية الخالصة لذاته - جلت ذاته - فهو وحده القادر على أن يردّها علينا غير مقبولة . فما هو بحاجة إلى توحيدنا ولا إلى صلاتنا ولا صيامنا ولا زكاتنا ولا حننا ، فإنه سبحانه هو الغنى عن العالمين ، فكيف لهؤلاء المتطرفين أن يعرفوا عن أى مصدر فى نفوسنا تقوم بطقوسنا الدينية . إنهم يريدون أن يركبوا الدين وسيلة إلى التحكم فىنا وويل لنا كل الويل إذا تمكن هؤلاء . وأى فئة أكثر ضلالة من فئة تستغل دين الله وهو دين الله ليضلوا به إلى مطامع دنيوية فانية وإذا كانوا لا يعرفون أن كل سلطان إلى زوال إلا سلطان الله . فما شأنها بالدين إذن . وإذا كانوا لا يعلمون أن الدين إنما هو احتقار للدنيا وسعى إلى العليا ، وعزوف عن الفانية نظرا إلى الباقية وإذا كانوا لا يعلمون أن الإنسان كادح إلى ربه كدحا فلاقية . فهم إذن إبعد ما يكونون عن جوهر الدين ولبابه . فليتخذوا لأنفسهم ملعبا يلهون فيه وبه وليتركوا الدين لعلائه وفقهائه وليتركوا الناس ليعبدوا ربهم الذى خلقهم والذى يعلم ما ظهر منهم وما بطن وهم له عابدون . حبا وأملا ورغبا ورهبا . وأن الناس فى غناء عن قوم يريدون أن يفرضوا أنفسهم عليهم طواغيت وجبارين والله سبحانه وتعالى جل أن يكون الجهلاء دعاة لدينه الأقوم ولكتابه الكريم .

## قراءات ومشاهدات

قرأت في الفترة القريبة الماضية روايتين ومجموعة قصصية أما الروايتان فهما « تمساح البحيرة » للأستاذة إقبال بركة و « الاختطاف » للأستاذ حسن محسب . وإما المجموعة القصصية فهي « النيش في الدماغ » للأستاذ أحمد الشيخ . وشاهدت على طول شهر رمضان أغلب مسلسلات التلفزيون وإنما يعنني منها مسلسل محمد رسول الله وحسبي رسول الله ﷺ سببا للكتابة أما رواية الأستاذة إقبال بركة فهي رواية عظيمة بكل المقاييس الفنية وقد استطاعت الكاتبة المتمكنة أن ترسم شخصية البطلة بكل المشاعر التي تترواح في نفس فتاة في مثل سنها ومثل ظروفها الاجتماعية والعاطفية وكما كانت إقبال موفقة في رسم هذه الشخصية واكبتها نفس التوفيق في رسم شخصيات الأم وصديق الزوج وكانت بالغة التوفيق في رسم شخصية الأب ولعله من المناسب هنا أن أتكلم عن شخصية الأب هذه فهي شخصية مسطحة وقد جرى كثير من النقد أن يجعلوا من كلمة مسطحة هجوما على رسم الشخصية جاهلين أن أعظم الشخصيات الدرامية هي الشخصية المسطحة لأنها الشخصية التي تهب نفسها لقضية واحدة لا يشغلها في الحياة غيرها ، وحينئذ تصبح الشخصية شخصية بطولية لا يعنى المؤلف من شأنها إلا بالقضية التي كرسَتْ نفسها لها وأعاق هذه الشخصية هامة في الناحية التي تتصل بالقضية التي حرص الكاتب على أن يرصد الشخصية للدفاع عنها فشخصية جان دارك مثلا شخصية مسطحة وهي مع ذلك من أعظم الشخصيات الدرامية التي عرفها الاعمال

الروائية أو المسرحية على السواء وهكذا يقع التقاد في أحبولة الكلمة ويظنون أنهم يحطمون الشخصية الفنية إذا وصفوها بأنها مسطحة وإنما يعيب الشخصية أن تكون سطحية وهنا تتجه الكلمة إلى معنى آخر هو السذاجة وعدم الإقناع وهذا طبعا يعيب العمل الفني ويوشك أن يحطمه وأشهد أن شخصيات رواية «تمساح البحيرة» جميعا بعيدة عن السطحية. إلا شخصية واحدة اعتمدت فيها الكاتبة على ما كانت تنشره وسائل الإعلام دون معايشة لنماذج هذه النفر من الناس. هذه الشخصية هي شخصية الجدل في روايتها فواضح أن الأستاذة إقبال لم تعرف نموذجا لمثل هذا الجدل قط ولهذا جاء رسمها للشخصية ترديدا لشعارات هيئة التحرير والاتحاد الاشتراكي وهكذا أصبحت هذه الشخصية باهتة ساذجة سطحية وليست مسطحة. وأنا كنت أرجو للأستاذة إقبال وهي على القدر من الموهبة أن تتعمق هذه الشخصية وتتعرف على أبعادها ولا تكنفى في شأنها بألفاظ جوفاء تعطى وجها واحدا باهتا لفئة قامت على أكتافها وعلى كدحها لفترة طويلة أعمدة الاقتصاد المصرى. وإن كان فى بعض من أفرادها عيوب فقد كان ينبغى على الكاتبة أن ترى إلى الشخصيات الأخرى التى تمحى عندها هذه المثالب. وكان عليها فى رسمها للنموذج الواحد أن ترى فيه الجانبين وترى فى سماته كل معالم هذا النموذج وهى سمات كثيرة فيه الرفيع السامق وفيه أيضا المادى الذى لارفعة فيه ولاسموق. وحان لى الآن أن أنتقل إلى رواية الأستاذ حسين محسب «الاختطاف» وهى رواية تدل على براعة الكاتب وفطنته وقدرته على رسم المجتمع الذى اختاره فى تفوق وعمق فشخصية الزوجة مرسومة بريشة قادرة صناع وشخصية الزوج الذى عاش فترة من أشنع فترات مصر وهو



المصرى الصميم الذى تجرى دماء مصر فى أعراقه منذ الآف السنين وأحسب أن هذه الشخصية التى رسمها الأستاذ حسن محسب تعتبر نموذجاً رائعاً لعصره جمعت جوانب من الحياة شقيت بها الحياة وشقى بها الخاصة هذا الجيل الذى يمثله بطل الرواية . وكان الأستاذ حسن محسب عظيماً حين نفذ إلى الرواية فى سرعة السهم فإذا نحن منذ اللحظة الأولى فى أعماق المشكلة التى اختارها لروايته وإذا هو يحسد الفجعية فى سرد روائى بارع ثم هو يلاحق هذه الفجعية فى نفس البطل ويظهرنا على آثارها ثم ينتقل فى براعة إلى ما كان فى حياة البطل من إحباط بسبب القوة العاشمة والسلاح الظالم والرواية كلها صراع بين حق الإنسان فى الشرف والحياة وبين السلاح الذى لا يعرف حقاً .

وحسن محسب كان موفقاً كل التوفيق فى رسم هذا الصراع بقلم يجمع إلى الفنية القدرة الإنسانية البلورية الشفيفة وإن كان لابد لى أن أخذ على الكاتب شيئاً فهو أنه افتعل التشويق فى نهايات بعض الفصول بينا الرواية بطبيعة موضوعها وبقدرة مؤلفها كان فيها من التشويق ما يكفيها ويزيد . اما المجموعة القصصية التى قرأتها للأستاذ أحمد الشيخ فقد وجدت فى قصصها أديباً متمكناً قادراً يعرف كيف يضع كلمته ويصونها عن أن تكون لهواً فالكلمة معنى يختارها الكاتب فى قدرة حتى لا تحتاج إلى مرادف لها فهى حادة قاطعة قوية شاعرة إنها فى مكانها الطبيعى غير قلقلة ولا هي متوفرة .

وموضوعات القصص باللغة الذكاء تموج بالإنسانية والشفافية وطريقه العرض تجمع إلى الحدائث والتجديد المنطق والمعقولة فهو كاتب عصره ويعبر عنه لأبناء الجيل وبلغتهم وبأسلوبهم فهو يفهم معاناتهم لأنه منهم

وهم يفهمون عنه ويحسون أنهم هم أبطال قصصه وأن عناء المؤلف هو عناؤهم والذي يشغله في الحياة هو الذي يشغلهم .

أترك الكتاب بعض الشيء وأنتقل معك إلى مسلسل الرسول ﷺ .  
وأبدأ بأن أهنيء نور الدمرداش عميد مخرجي التلفزيون بهذا العمل العملاق الذي قدمه إخراجاً أما النص فلي عنه بعد ذلك حديث . أما نور الدمرداش كمخرج فقد بلغ قمة التوفيق فقد استطاع أن يقدم إلينا المسلمين أعزة شائخين لأذلة ضعافا خانعين . يلبسون أكرم ملبس متفرحين بما أتاهم الله من فضله في الدنيا مقبلين على أعتاب الآخرة إقبال المشوق المعدم الذي لا يشعر بأن له في هذه الدنيا ما يبقى عليه ، وهذا هو قمة الإيمان . فالذي يقبل على الموت وهو ضيق بالدنيا رجل ضعيف الإيمان أما الرجل الذي تطالعه الدنيا بوجهها الباسم المشرق فيقبل عليها في غير معصية ولاجنوح عن سنن الله ونبيه ﷺ حتى إذا دعا داعي الجهاد أقبل على العليا إقباله المتعجل الهانئ السعيد بكل ما يتكشف عنه مصير المعركة فإما نصر فحياة في الدنيا وإما نصر فحياة أكرم وأعظم في العليا خالدا هناك عند ملك الملوك رب العرش سبحانه وتعالى .

واستطاع نور الدمرداش أن يقدم إلينا الشخصيات المؤمنة سعيدة باسمه فحطم بذلك الطقوس البغيضة التي ترسم المسلم حزينا دائما كسيرا مكشرا غاضبا . وتلك عجيبة من عجائب الزمان . ما الذي يحزنه وهو الذي عرف الطريق واتصل ما بينه وبين الإيمان . . وأى شيء يملأ النفس سعادة وهناء وحبورا وطمأنينة ورضا وفرحا وإشراقا مثل الإيمان وكلما كان الإيمان عميقا ازدادت السعادة والهناء والحبور والطمأنينة .

إن نور الدر دأش مآزال يقتعد فته التي عرفها له العالم العربى لم يتركها بل أحسب أنه يصنع لنفسه قما جديدة أما النص فى عليه قول آخر فالأستاذ صبرى سلامة خير من يتكلم العربية فى الإذاعة وأنا لأقول من خير ولكن هو خير من يتكلمها ولكن الحوار التلفزيونى أمر آخر والحوار فى عصر النبى ﷺ أمر آخر هو أيضا . فالصياغة التى نسمعها فى الحوار وإن كانت مطعمة بالكثير من الأساليب العربية إلا أنها هى نفسها حديثة وليست هى الصياغة العربية التى تواكب ذلك الزمان . وقد سمعنا النغمة الصحيحة فى أسمى مراتبها من الكاتب الكبير عبد الفتاح مصطفى فإن لغة هذا العصر كانت تجرى على ألسنة الأبطال وكأنهم هم الذين يتحدثون من وراء التاريخ ولكن هذا لا يمنعنى أن أرحب بأخى الصديق صبرى سلامة فى ميدان التمثيلية وأحسب أنه سيبلى المكانة الجديرة به إذا هو قدّم إلينا أعمالا فى عصور أكثر حداثة عن عصر النبى عليه الصلاة والسلام .

## بين الخطيئة والغفران

مسكين ذلك الإنسان . يبدأ حياته طفلا فالدنيا حوله نور وطهر ونقاء وتتراحم عليه من الكبار دعاوى الشرف والزهة والعدالة ويتعرف على دينه فيجده ضياء وإشراقا وسموفا ، ثم يدلف إلى باب الحياة وويل له حين يدلف إلى الحياة تحيط به مغريات الجسد وحاجات الإنسان إلى الغنى ويجد أن الإنسان لا يصيب مالا وافر إلا إذا فقد طهرا أو كرامة أو نقاء وتلح عليه الحياة بسعارها ويتمزق بين أضواء الطفولة وبراءتها وبين مغريات العصر وسفالاته والاختيار له وحده . فالله سبحانه في علياء سمائه هدى عباده النجدين وألم النفوس فجورها وتقواها وجعل لكل انسان طائره في عنقه وترك له حق الاختيار فهو إما جانح إلى قوم من النجدين أو جامح إلى معوج منها .

ويشفق رسول الله ﷺ على أمته جميعا ويقول في شموخ الإنسان الصادق وعظمة الأنبياء « حفت الجنة بالمكاره » فالذى يختار الطريق إلى الجنة يكره نفسه أن تختار غير ما تهوى ويلوئها أن تميل إلى ما تهفو إليه من متعة عاجلة محققة وتكالب المغريات على الإنسان الضعيف فيزل ثم يثوب إلى رشده فيطلب الغفران ويقول الشاعر : -

وإني لأرجو الله حتى كأنني أرى بجميل الظن ما الله فاعله  
فهو واثق من الغفران ، لأن الله سبحانه شرع الغفران للخطئين . ولو لم توجد الخطيئة ماسى الله نفسه بالغفور . ويقول أبو نواس .

إن كان لا يرجوك إلا محسن فبمن يلوذ ويستجير المذنب  
ولكن الإنسان لا يجمع نفسه عن الخطيئة بل ظل متعلقا بها تغريه  
متعها ويطيبه إغراؤها وتجذبته نشوتها . فإذا ورعه من الإيمان وازع رده  
بالأمل في المغفرة . ويمضي إلى خطيئته لابلوى على شيء حتى إذا انحسر  
خمارها وثاب إلى نفسه اللوامة تاب وآب وعاد يرجو الله سبحانه الغفران .  
وهل هناك أوسع من مغفرة الله . سبحانه هو باري النفوس وهو العليم  
الخير بضعتها . وهو العليم بما يصنعه الشيطان من تجميل الشر ومن جعل  
الشين زينا والمقبوح من الفعل مكسوا بالرواء والبهاء والجاهلية .  
ويظل الإنسان بين شد وجذب وبين إقبال على المحرمات وانصراف  
عنها . ويبلغ أحدهم الكبر وتحيط به الشيخوخة ويضطره العجز إلى  
الاستقامة ولكنها استقامة هو مرغم عليها ولم يقصد إليها عن اختيار فهو  
تائب في غير عفة . ولا يقعد به الكبر أن يصرح بذلك فيقول ذلك البيت  
الشهير .

هل الله عاف عن ذنوب تسلفت أم الله ان لم يعف عنها يعيدها  
وما رأيت بيتا يجمع التوبة والفجور في شطريه كما يفعل ذلك البيت  
فهو يرجو الله أن يغفر الله وهو في الوقت ذاته لا ينجل أن يقول للذات  
العلية إذا كان لابد من العقاب فلا بأس ولكن أرجو أن تتاح لي القدرة  
على إتيان ذنوبي مرة أخرى لتتوافر لي المتعة مادامت المغفرة غير متاحة  
وهكذا نجد أن الفجور قديم قدم الصلاح . وأن الفجور لا يقف به أمد  
ولا ينتهي عند حد كما أن الصلاح عميق الأغوار بعيد المدى . والإنسانية  
تأرجح بين الجانبين بغير حيرة وإنما عن بصيرة وعي وفي الوقت بين رغبة

عاجلة في متعة عابرة وبين إيمان عميق الجذور يرجو وجه غفور رحيم .  
والإنسان ظالم لنفسه فهو الذى اختار أن يحمل الأمانة التى أشفقت  
منها السماوات والأرض والجبال وأبين أن يحملنها . حتى إذا استجاب الله  
لسؤال الإنسان وألقى على كتفيه أمانة الاختيار تخبط في حياته هذا التخبط  
وراح يضرب في الأرض ونظره إلى السماء فهو بين رغبات الأرض وبين  
إيمانه بالسماء في شد وجذب وإقبال وإدبار .

ويضيق بعض الناس فيعلن إلحاده وكفره مختارا اليأس مفضلا له عن  
رغب الانتظار موها نفسه أن اليأس إحدى الراحةين ولكن هيات  
فالملحدون أشد الناس عذابا ، لأنهم في البعد من نفوسهم أنهم على باطل  
وهم في أعماقهم يتمنون أن يحطوا بالجنة التى وعد الله بها المتقين من  
عباده ، ولكنهم يدركون أيضا أنهم أبعد الناس عنها بما كفروا وأخذوا  
ويظنون مع أنفسهم في صراع مرير بين ما أعلنوا من الحاد وما تشعر به  
قلوبهم من أن صاحب هذا القرآن لا يقول الا حقا . وما تزال أفئدتهم بين  
يأس وأمل وبين إقدام وإحجام فعل اللص المبتدئ يمد يده للسرقة برغبة  
الغنى حتى وإن كان عن طريق محرّم ويكف يده بأمل التوبة والغفران من  
الرحمن الرحيم الذى وسع غفرانه ذنوب البشر وشملت رحمته المؤمن  
والعاصي والعابد والعرييد والقانت والزنديق ويقول شوق الخالد في رثاء  
اسماعيل أباطة باشا :

أطل الندى أقطارها والنواحيا	إلى الله اسماعيل وأنزل بساحة
تلف إلتقى في سبيها والمعاصيا	ترى الرحمة الكبرى وراء سمائها
ولا الصفح توابا ولا العفو راجيا	لدى ملك لا يمنع الظل لا ئذا

ويعربد أبونواس ما شاءت له عربدته ويقول شعرا ملحدا يتناقله الناس على مر العصور ويمعن في الفسوق والمروق متخذاً من التطرف ستارا يختمى فيه . ثم تطلعه السن ويدرك أنه أوشك على النهاية ويصيح صارخا بنفسه « يا كبير الذنب » .

وتمر أمام عينيه حياته جميعا فيرى نفسه محاطا بالنار لا يموت فيها ولا يحيا ويتبدل جلده كلما احترق له جلد ويأخذه الهول وبلتاع ويدرك أى عذاب هو ملاقيه ولا يجد لنفسه الهالعة ملاذا . الا عفو الله ويكمل البيت .  
يا كبير الذنب عفو الله من ذنبك الكبير  
ويتفكر ويصيح :

كن مع الله يكن لك واتق الله لعلك  
لا تكن إلا معدا للمنايا فكأنك  
إن لله لسهما واقعا دونك أو بك

ويصيح الزمان فإذا الصوت الذى سمعه ملحدا كافرا زنديقا يعود فيملأ الدنيا إيمانا ومناشدة للمرحمة ودموعا تخضب الأرض في طلب غفران السماء .

فالله غالب على أمره . والملحد من دنياه في عذاب وبيل وهو في الأخرى لدى عالم الغيب والشهادة وهو سبحانه وحده العالم بمصيره ومنقلبه .

## المجتمع والأدب والسياسة

قَدِمَ إلى الصحفي الأديب الفلسطيني يوسف بركات موفداً من جريدة أردنية كبرى وكان من بين الأسئلة التي وجهها إليّ ، لماذا يكتب الأستاذ إحسان عبد القدوس مقالات سياسية بكية أكبر مما يكتب في القصة أو الرواية ، ألسنت ترى أنه يجب عليه أن يعود إلى كتابة القصة والرواية ويقلل من كتابته للمقال .

وكان جوابي على الصحفي هو أن الكاتب يستلهم نفسه فيما يكتب ويترك قلمه على سجيته فإن أرغم القلم على لون بذاته نفر منه القلم وأبى أن يجرى في يده ، وقد رأيت الموضوع جديراً بمناقشة أكثر اتساعاً فالقصة أو الرواية لا يستطيع الكاتب أن يقتصرها اقتساراً أو يعتسفها اعتسافاً فهي فكرة تثب إلى الذهن يقذف إليه بها مجهول لا يعلم أحد إلا الله حقيقتها يسميها بعض الناس وحياً ويسميها بعض آخرون إلهاماً وهي مسميات لمجهول يحاول بها المخلوق أن يستر جهله .

فهيات وألف هيات أن يكتب روائي أصيل رواية لا تنبعث شرارتها الأولى من ذلك المجهول الذي نطلق عليه أسماء ولا نعرف عن سره شيئاً وكذلك الأمر في المقالة وفي القصة وفي المسرحية ، فالكاتب يعتمد دائماً على تلك الخاطرة التي تومض في ذهنه ثم تتناولها موهبته وقلمه وثقافته وتجربته فتصبح في الصورة التي يطالع بها الناس ، فليس من حق أحد مهاكناً شأنه أن يسأل كاتباً لماذا تكتب مقالة ولا تكتب قصة قصيرة أو رواية أو مسرحية لأن الخاطرة الأولى هي التي تحدد للكاتب الطريق الذي يرى أنه يصلح لمسيرة هذه الخاطرة وبلورتها .



وليس من حق أحد أن يسأل كاتباً لماذا يكتب في السياسة ولا يكتب في الأدب فليس هناك أدب بلا سياسة الا أن يكون أدبا رومانسيا يستنبح الخيال . فكل أدب عظيم ادب سياسى لأن السياسة تتسع فتشمل كل مناحى الحياة فى المجتمع ، الأدب يتسع ويشمل كل خفايا الإنسان وكل أفعاله ، فإذا لم يلتق الأدب والسياسة ومجال كل منهما الإنسان فإنها تصبح عجيبة من العجائب التى لا يسيغها منطق ولا يقبلها عقل سليم حتى الشعراء فى العصور التى كان الشعر فيها وسيلة لكسب العيش ، كانوا يكتبون أدبا سياسا .

فحين يقول المتنبى فى رائعته شعب بوان :

يقول بشعب بوان حصانى أعن هذا يسار . إلى الطمان  
أبوكم آدم سن المعاصى وعلمكم مفارقة الجنان  
يصبح شعره من عيون الأدب الانسانى والسياسة موضوعها الإنسان  
فهو يدعو بأبياته إلى السلام ويسخر من الإنسان الذى يترك النعم ليسعى  
إلى الشقاء والقتل وسفك الدماء  
وحى حين يصف المتنبى شعب بوان وجداوله وعناقيد العنب فيه  
وخلائه يصف الإنسان ومدى الجمال الذى يستطيع أن يحققه إذا أتقن  
عمله .

وهذا شأن من شئون السياسة .

وحين يصف سيف الدولة فى الحرب ويقول :

وقفت وما فى الموت شك لواقف كأنك فى جفن الردى وهو نائم  
تمر بك الأبطال كلهم هزيمة ووجهك وضاح وثورك باسم

نجده سياسيا من الطبقة الأولى يصف شجاعة القائد الحرى وما ينبغى أن يكون عليه من الجرأة والسكون والهدوء فى عاصف الحرب ودفاعها والحرب جزء من السياسة .

وإذا تركنا المتنبي وذهبنا إلى البحتري وتذكرنا أبياته الرائعة فى السينية الشهيرة عن إيوان كسرى التى يصف فى أبيات منها الرسوم فى الإيوان ويبلغ القمة الرفيعة من تجسيد هذه الرسوم فيقول :

يقتلى فيهموا ارتياى حتى تتقراهمو يداى بلمس  
فهو لا يصدق أن هذه الرسوم رسوم فيجرى أصابعه عليها ليستوثق  
أنهم ليسوا أحياء وأنهم حقا رسوم .

هو فى هذه القصيدة يصف التاريخ ومدى الرفاهية التى كان يعيش فيها كسرى والتاريخ مصدر رئيسى للسياسة وتسجيل لها فى وقت معا والبحتري سياسى حين يصف مقتل المتوكل بقصيدة من أروع قصائد الأدب العربى والتى يقول فيها :

أكان ولى العهد اضمرد غدره فمن عجب أن ولى العهد غادره  
وهو فى هذه الكلمات القلائل يضع قضية سياسية كاملة مقتضاها أنه لا يجوز أن يقوم بأمر الجلاء غادر لا عهد له ولا موثق .

وإذا تركنا هذا الزمان والشواهد فيه تجل عن الإحصاء وجئنا إلى عصرنا الحديث استحال علينا أن نلم بالشعر السياسى الذى قيل فيه وحسبنا إلى تلقى نظرة سريعة خاطفة على شعر أمير الشعراء ولن ألبأ إلى الديوان وأنا أكتفى بما أذكر فى السينية التى يقول فى مطلعها :

اختلاف النهار والليل ينسى أذكرا لى الصبا وأيام أنسى  
وسلا مصر هل سلا القلب عنها أو أسى جرحه الزمان المؤسى  
كلما مرت الليالى عليه رق والعهد فى الليالى تقسى  
نفسى مرجل وقلبي شراع بهما فى الدموع سبرى وارسى  
واجعلنى وجهك الفئار ومجراك يد الثغرين رمل ومكس  
وطنى لو شغلت بالخلد عنه نازعتنى إليه فى الخلد نفسى

ولن أذكر شعرا لشوق بعد ذلك فإن الأمر يحتاج إلى كتب عديدة ليلم  
بشعره السياسى فإن أغلب شعره سياسى وحسبى أن أذكر بعضا من  
قصائده « كبار الحوادث فى وادى النيل » « صدى الحرب » « انتصار  
الأتراك » « بعد المنفى » « مشروع ملنر » « مشروع ٢٨ فبراير » « تكليل  
انقره » « وداع كرومر » « نكبة دمشق » فإذا أضفنا إلى هذه القصائد  
أغلب مرأى الجزء الثالث نجد أن السياسة هى المصدر الأول لإلهام شوق .  
وإذا انتقلنا إلى عزيز أباطه نجد كل رواياته سياسية حتى قيس ولىلى  
لا تخلو من السياسة وأن نقاشه لحكم الفرد وحكم الشعب فى روايته قيصر  
تعتبر من كنوز الفلسفة السياسية .

فإذا تركنا الشعراء وانتقلنا إلى النثر نجد أن جميع كتابنا بلا استثناء  
تقف السياسة وراء كتاباتهم لا تتركهم ولاهم يتعدون عنها فطه حسين  
والدكتور هيكال والعقاد والزيات والملازنى والحكيم ونجيب محفوظ ويوسف  
السباعى وعبد الرحمن الشرقاوى وإحسان عبد القدوس وفتحي غانم  
وكل من لم أذكرهم لا يكاد يتعد منهم أحد عن السياسة وإن ابتعد فهو  
إنما يولى وجهه إلى المجتمع والمجتمع هو مسرح السياسة وشغلها الشاغل ؛

- ٧٤ -

فليس غريبا إذن أن يكتب إحيسان مقالاته وليس غريبا أيضا أن تتجه روايات له كثيرة إلى السياسة بل أن رواياته الاجتماعية هي في ذاتها سياسة لأن الرواية لا مورد لها إلا المجتمع الذي هو أساس السياسة فالسياسة هدفها الأول أن ترتقي بالمجتمع أو هكذا يدعى الساسة على الأقل ولا يرد على هذه القاعدة خذلان أن جعل بعض الساسة مناصبهم شباكا لمنافع شخصية ففي كل فئة الصالح والفساد ولا يعيب هذا الفئة وإنما يعيب الفرد وحده .

## سيدة اللغات

أى حرب طاحنة تلقاها اللغة العربية من الشيوعيين الملحدين والمغرضين والكافرين وليس اللغة العربية هدفاً وإنما يتقصّدونها بسهامهم لأنها لغة القرآن الكريم .

والحرب ليست بنت اليوم . ولكنها قديمة قدم الكفر والأغراض الخبيثة وقد خيل إليهم أن نجحوا يوم ألغوا جامعة الأزهر القديم ولم يصبح حفظ القرآن شرطاً للإلتساب إلى ساحة الأزهر الشريف ولا إلى حصن دار العلوم العتيد الشامخ .

وتحطمت اللغة على شفاه الأساتذة وانسحقت على شفاه التلاميذ وشب جيل لا يعرف اللغة العربية وزاط الأعداء وتهلّلوا وحسبوا أنهم نالوا ما كانوا إليه يطمحون . وما هي إلا دورة زمن وما أسرع ما يستدير الزمن حتى تبينوا أن اللغة على ألسنة الشباب تهشمت ولكن الدين الإسلامى يزداد فى نفوس الشباب رسوخاً وثبوتاً وتأصيلاً .

ويعود الأزهر إلى الأزهر ، وتملأ ربوع مصر المعاهد الدينية تكاد تغطى قراها جميعاً وتعود اللغة العربية إلى الشفاه وما هي إلا دورة زمن أخرى نرى ملاحظها منذ اليوم حتى يستقيم اللسان العربى كما كان مستقيماً . ويرى الشيوعيون الملحدون والمغرضون مراض القلوب مطالع الصباح فيبج هاأنجهم ويقول قائلهم إن اللغة العربية ما هي إلا صدئ وتمر أيام ولا نقرأ تعليقا على مقال الرجل المهلوس .

وأعجب ويتملكنى الأسى والحزن والأسف أهانت لغتنا على أصحابها كل هذا الهوان إن الأمم العربية كلها تعتر بلغتها اعتزازها بشرفها ، فكيف إذا كانت لغتنا هى لسان كتابنا الخالد الكتاب السماوى الوحيد الذى بقى بلغته منذ نزل حتى اليوم وحتى يرث الله الأرض وما عليها ويقول سبحانه فى الآية ١٠٣ من سورة النحل « ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذين يلحدون إليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين » ويقول جل شأنه فى الآية ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٥ من سورة الشعراء ، وإنه لتنزىل رب العالمين . نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين . بلسان عربى مبين » .

ويقول تقدست كلماته فى الآية ٩٧ من سورة مريم ( فلنما يسرناه بلسانك لتبشره المتقين وتذر به قوما لدا »

ويقول تباركت آياته فى الآية ٥٨ من سورة الدخان « فلنما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون » . فإذا كان اللسان العربى صدى ، فما الصوت ، وإن كان ظلا فما الأصل ، ولماذا يحاول هؤلاء المغرضون فى حمق وإصرار أن يكونوا قوما لدا يصدون على الدين كراهيتهم سنا نافعا . أبحسون أننا نحقق علينا ما يسعون إليه من محاولة تحطيم اللغة العربية وهل يتصورون أنهم سيبلغون الأمل الذى يصوره لهم جهلهم من تحطيم الدين فى نفوسنا إذا حطموا لغة هذا الدين وصوته الأصيل وصوت الآباء والأجداد على مدى آلاف السنين .

لقد حاولوا أن يهاجموا علماء الدين والمصاييح الهداة من شيوخ العقيدة فانهاالت عليهم الأقلام فعاوجوا طريقهم إلى محاولة تحطيم اللغة العربية قائلين أنها صدى وعجزوا أن يقولوا لأى صوت كانت لغتنا العربية

هى الصدى . أيريدون أن يقولوا أنها صدى التراث الذى يسمونه رجعية وسلفية وتحجرا . أوليس لكل أمة تراثها فى لغتها أوليس للفرنسيين والإنجليز والألمان والإيطاليين واليونانيين تراث لغوى . أهذه اللغات جميعا أصل ، ولغتنا نحن التى هى لغة كتابنا هى الصدى بشى ما يدعون . لماذا نكرمهم ويستخفون أمرنا ، ولماذا نقدر حريتهم ولا يقدسون عقيدتنا وهم الملحدون ونحن المؤمنون ونحن الأصل وهم الاستثناء ونحن الأكثرية الكاثرة وهم الأفراد القلة أما يستحيون .

وكيف لهم أن يستحوا وهم الكافرون عقيدة وخلقا وقولا وقلم . ويتصدرون وسائل إعلامنا الرسمية ويتبجحون بهذا الكفر وهذا التجديف ولا يجدون من يردهم وأننا نربأ بأنفسنا أن نقول من يمنهم فالحرية هى أساس ديننا فديننا الواثق من عظمة تعاليمه يرفض فى كبرياء أن يرغم أحدا على الإيمان به هكذا نزل بالحق وهكذا دعا إليه نبيه ﷺ وهكذا سيظل إلى قيام الساعة .

فالحرية فى ديننا أصل ولهذا نحترم حريتكم ولكن عليكم أتم أيضا أن تحترموا حريتنا وعليكم لو كنتم على شىء ضئيل من الحياء أن تراعوا مقدساتنا ولا تمسوا عقيدتنا بسمكم الناقع .

اللغة العربية هى لغة القرآن كتاب المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها وهى اللغة الوحيدة بين لغات العالم اليوم التى بقى كتابها بلسانها لم يتغير منه شىء ، أليس من الطبيعى أن تكون هذه اللغة هى أعظم اللغات قاطبة فأى لغة فى العالم الذى يعيش اليوم يقرأ بها كتاب إلهى إلا لغتنا نحن . أهذه اللغة صدى فما الصوت إذن !! وبعد فهاذا نحن صانعون بتراثنا جميعا . من قبل الإسلام حتى اليوم . وهل تراث الأدب العربى جميعا إلا

اللغة العربية ترى أريدنا الملحدون أن نلقى بهذا التراث في البحر ونتلقى عنهم لغتنا وأدبنا لغة جديدة وأدبا مستحدثا .

ويل لهم بماذا يهرفون . إن لم يكن للأمة تراث فليس لها حاضر ولاينبت جديد من معدوم ولكل فرع أصول فإذا قطعت الأصول قطعت الفروع جميعا . إن التاريخ العربى مرتبط بالتراث الأدبى كل الارتباط وقد كان الشعر العربى هو المؤرخ لكل أحداث العرب ومن هذا الشعر العربى ومن النثر العربى تكون تراثنا جميعا فهل يكون هذا التراث جميعا صدى .  
إننا اليوم نزل بالبلاد العربية فإذا تحدثوا أمامنا بلغتهم الدارجة أصبح الكلام بالنسبة إلينا غريبا لانكاد نفهم منه حرفا حتى إذا نطقوا باللسان العربى استقام حديثهم وفهمنا ما يريدون . ربما كانت لغتنا العربية التى يقول عنها الكافرون صدى فباى لغة يكون . ياأيها الذى قال هذا لقد عدوت فى قولك على لغة القرآن وعدوت فى قولك على لغة التراث وعدوت فى قولك على لغة الأدب العربى الحديث فلن يكون الأدب أدبا الا ان يكتب بلسان العرب وعدوت فى قولك على لغة التفاهم بين العرب أجمعين .

وبعد مرة أخرى فأى لغة تختارها ليكتب بها الأديب العربى أو الشاعر العربى إذا كتب المصرى لغته الدارجة فإن أحدا لن يستطيع أن يفهم ما يكتب حتى أبناء مصر لأنهم تعلموا القراءة بالعربية الأصيلة وليس باللغة الدارجة وإذا كان المصرى لن يفهم فما بالناس بأبناء العربية من الدول الأخرى . وإلى أين ينتهى بنا الأمر إذا كتب كل عربى بلغته الدارجة أنهم حينئذ سيصبحون كالطيور العجماء تقول ولايفهم أحدا عنها شيئا بل



- ٧٩ -

سيكونون شرا مصيرا وأسوأ حالا لأن الطيور تفهم عن بعضها البعض أما الإنسان العربي فلن يفهم أحد عنه شيئا حتى أبناء وطنه لأنهم جميعا تعلموا القراءة والكتابة باللغة العربية لا بالدارجة . وبهذه اللغة تكتب صحفهم وبها تقرأ نشرات الأخبار في الإذاعة والتلفزيون .

ما احسب أيها الكافرون إلا أنكم تهرفون بما لاتفهمون وكبر مقتا أن تقولوا مالا تفهمون فاحذروا أنفسكم فهي حين تجهل يبدأ جهلها عليكم وتصبح لكم شر عدو أما نحن المؤمنون فديننا يزداد مع الأيام قوة ومنعة وانتشارا ولغتنا ستظل إلى ما بعد الزمان سيدة اللغات وإن رغمت منكم كل الأنوف :

## لغة العرب لغة الثراء

إن الإنسان لا يستطيع أن يعيش متوائماً مع نفسه إلا إذا أحس أن له في مقومات كيانه ما يعتز به ، وهو قادر على أن يختلق هذا الاعتزاز إن لم يجده ، فإذا كان الأمر كذلك مع الفرد ، فهو مع الأمم أكثر وضوحاً فكل أمة في العالم تعتز بأبجاده وتغنى بها ، وإنني أعارض ما قرأته لأخي الأستاذ أنيس منصور في أحد مواقفه من رفض لتغنى أبناء مصر بأبجاد مصر متصوراً أن هذا التغنى يجعلهم في غناء عن العمل وأنهم يكتفون بالصوت عن العمل ، وهذا ليس صحيحاً في الشعب المصري فنحن شعب يغنى وهو يعمل والغناء يحث العامل على النشاط وقدما كان حذاء الإبل في الصحراء يخفف أعباء الطريق على المسافرين ويحث الجمال أن تحمل المشقة ومن هذا الحذاء نبت الشعر العربي كله وكل شعب له خصائصه التي لا يشاركه فيها أحد والأمر المؤكد أن كسل المصريين ليس راجعاً إلى أنهم يتغنون بأبجاد مصر وإنما هم كسالى رغم أنهم يتغنون بأبجاد مصر فقد كان هذا التغنى خليقاً بأن يدفعهم إلى العمل لا إلى النكوص عنه فالشعب كسول رغم أنه يعرف أبجاده ويتغنى بها وليس لأنه يشيد بهذه الأبجاد .

واللغة من أهم المقومات التي تعتز بها الأمم العريقة فأنت تجد الفرنسي وهو ينطق لغته فخوراً بهذه اللغة سعيداً أنه ينطقها النطق الصحيح ويكتب بها في الفة معها وفي حب لها . يجدد فيها دون أن يعدو على موسيقاها أو على جرس الجملة ووقعها في نفس المتلقي لها مستمعا كان هذا المتلقي أو قارئاً .

وكذلك يفعل الإنجليز الأصلاء فهم حريصون أن ينطقوا حروف لغتهم النطق السليم القوى الواضح وتلمح في وجوههم الاعتزاز بأنفسهم أنهم يحسنون نطق لغتهم وهم يجددون في أساليبهم ولكنهم لا يعتدون عليها فعل الالب الثرى يقدم لآينه أحدث ما ابتكرته بيوت الأزياء ليراه دائما مشرقا متجددا أنيقا ولكنه لا يحاول بأية حال من الأحوال أن يغير من معالم ولده فهو دائما يراه أجمل مخلوق في العالم

ولقد قرأت منذ قريب كتابا عن بعض رواد مؤلف الرواية الأمريكية بقلم نقاد مختلفين ويوشك النقاد أن يجمعوا أن الكاتب الذى اختاروه لبحثهم كان يحاول أن يجد لغة أمريكية جديدة لأن الشعب الأمريكى حديث التكوين ولم تتأصل له لغة خاصة به أو هو على الأقل كان كذلك حين بدأ هؤلاء الرواد ممارسة اعمالهم الفنية .

واللغة العربية لغة أمة باكملها وهى لغة فرضت نفسها على التاريخ لآلاف السنين والناطقون بهذه اللغة لهم ذوقهم الخاص وهو ذوق رفيع وليس فيه جمود فهو يحب التجديد فى اللغة ولكن لا يجب الاعتداء عليها . واللغة العربية لها خصائصها شأن كل اللغات ، وقد أحب أبنائها هذه

الخصائص حبا نابعا من المشاعر قبل أن ينبع من العقل . فلغتنا - فيما أعتقد - أعظم اللغات ثراء وقد رأيت من الإنجليز والفرنسيين من بهره هذا الثراء ، فاللغة الوحيدة فى العالم التى يستطيع الشاعر بها ان ينظم خمسمائة بيت على وزن واحد وقافية لا تتغير هى اللغة العربية ، ولو كانت اللغة الإنجليزية أو اللغة الفرنسية بهذا الثراء مالجا الشعراء فيها إلى شعر المقاطع أو الشعر الحديث .

وإذا تركنا الشعر وانتقلنا إلى النثر نجد أن الأسلوب العربى يجب المترادفات فهي تؤكد المعنى وتكسب الأسلوب جمالا ورواء وتضفى على الأثر الأدبى أصالة ومكنة وأبعادا لاتطبق الكلمة الواحدة أن تحملها إلى نفس القارىء .

وإذا كانت اللغة العلمية لاتميل إلى هذه المترادفات فإنها حبيبة فى اللغة الأدبية وتلون الأسلوب بتلون الموضوع ثراء وقدرة من اللغة على مواجهة شتى مجالات ومختلف ميادين .

وأننا مع هذا لا أميل إلى الرأى القائل بتعريب اللغة العلمية فإن العلم العالمى عالمى بطبعه وينبغى على المشتغلين به عندنا أن يتقنوا اللغات الأجنبية غاية الإتقان حتى لا ينفصلوا عن العالم المتحضر فى أبحاثه التى تكلفهم من الأموال والالات مالا طاقة لثابه والأمر الذى لاشك فيه أن العالم المتحضر ينتفع بجهود علمائنا بما يقدمون من بحوث فى ميادين العلم ، وما هذا الذى أقول من قبيل التفاخر وإنما هو واقع تؤيده الحقائق التى لاسبيل إلى نكرانها والعلم تبادل معرفة ، وأن هذا الثراء الذى تتمتع به لغتنا يرسى فى نفوسنا ثقة مطمئنة بلغتنا فنحن لانخشى أن تعدو عليها لغة فى العالم مهما يكن شأنها وقديما أخذت العربية من الفارسية والتركية ومن الفرنسية والإيطالية والإنجليزية فازدادت ثراء كما أخذت كل هذه اللغات العربية ولم تشعر بهوان فقر أو ذلة حاجة .

والأذن العربية مازالت على رغم تطاول السنين تحب اللغة الأصلية وتحسن وقع الكلمة المختارة الجميلة ، ولهذا لم ينجح فى أدبنا الأسلوب التلغرافى ، فهو لا يصل إلى نفس القارىء فى العمل الادبى وإنما يجعله يخس أنه يقرأ كشف حساب لا أدبا فنيا ولاأسلوبا عربيا .

وقد حاول بعض النقاد من ذهبوا إلى الغرب والتوى منهم اللسان وفقدوا هناك الذوق العربى أن يضعوا فى الأدب العربى قاعدة تقول أن جمال اللغة فى العمل الفنى يقف حائلا بين العمل وبين مستقبله وخاصة إذا كان هذا العمل قصة أو رواية .

والحقيقة التى لاشك فيها أنهم هم أنفسهم وجدوا أنهم عاجزون عن كتابة اللغة الفنية الجميلة فانشأوا من القبح قاعدة .

ولما كان الجمهور حين يقرأ يترك نفسه على سجيته ويضرب صفحا عن القواعد المفتعلة التى يريد أن يزيها عليه النقاد فإنه رفض هذه القاعدة وأصر أن يقرأ أسلوبا جميلا وأقبل على هذا الأسلوب ورفض غيره ولعل الرواية الشاهقة الباذخة التى كتبها أخيرا أستاذنا نجيب محفوظ فى الأهرام تؤكد هذا المعنى فإن نجيب محفوظ من أكثر الناس إحساسا بجمهور القراء وإدراكا لذوقه ، وأنت ترى أنه بلغ فى هذه الرواية قمة فائقة من جمال الأسلوب .

ولقد قرأت منذ قريب بحثا لغويا فى بعض التركيبات اللغوية فى القرآن الكريم وقد حاول العالم الجليل أن يبرر بعض أساليب القرآن ويتقصى الأسباب التى من أجلها أنزل سبحانه الآية فى نظامها هذا الذى نحفظه به ، وضرب مثلا بقوله سبحانه « فيما رحمة من الله لنت لهم » بقوله « لا أقسم بهذا البلد » وبآيات أخرى كثيرة وراح يستعرض آراء النحاة فى هذا الشأن ثم يدلى برأيه ، وعندى أنه لم يكن محتاجا إلى كل هذا الجهد فإن جمال هذه الآيات مستمد من نظامها هذا والله سبحانه وتعالى الذى خلق النفوس هو الأعم بما يصل إلى بعيد أعماقها ويبلغ منها ما لا يبلغه بيان بشر .

وليس أدل على أن الذوق العرفي يحب لغته بكل ما فيها من جمال  
 أسلوبى ومتراذفات وتقديم وتأخير من هذا الشعور بالسمو النورانى الذى  
 نقرأ به القرآن الكريم أو نستمع إليه ، وهو شعور يفقد جماله إذا حاولنا أن  
 نحلله أو نرجعه إلى منطق ، انه الحب ولقاء النفس بما تهواه .  
 ومهما يحاول أعداء اللغة والعاجزون أن يهونوا من شأن الجمال اللغوى  
 ويدفعوا الناشئة إلى لغة التقارير فإن الأديب سيظل محبا للتعبير الموسيقى  
 الثرى الرهيف ، وسيظل القارىء حريصا أن يقرأ ادبا فنيا لا نشرة أرصاد  
 جوية .

## تدريس العربية بالعربية ..

قرأت منذ فترة مقالا بعنوان « يجب تدريس الطب بالعربية » بتوقيع سالم نجم أستاذ بكلية الطب - جامعة الأزهر .  
وأشهد أنني أحسست عند قراءة العنوان بيد عاصرة شديدة العنف تعتصر قلبي .

أو فرغنا من تدريس العربية بالعربية أولا حتى ننصرف إلى تدريس الطب بالعربية . أم نريد أن نجعل الخري عندنا في شتى المجالات طيوراً عجماء لا تنطق بأى لغة من لغات الكون ..

إن طلبة الطب الآن يتعلمون دروسهم باللغة الإنجليزية وهذا يجعلهم على صلة يمكن أن تكون وثيقة بتخصصهم .. أنريدهم أن يدرسوا الطب بالعربية حتى تنقطع الصلة بينهم وبين هذه المصادر ويزدادوا جهلاً .. وأين هى اللغة العربية التى نريدهم أن يدرسوا بها .. وهل الأستاذ أو الدكتور صاحب التوقيع يظن أن هناك لغة عربية تدرس فى أى مكان .. وكيف .. ومن أين ؟

ومن الذى يدرسها .. ؟ ما تعليمه ما الهامه بها .. لقد انتهى تدريس العربية الأصيلة منذ سمحنا بكليات الأزهر المتخصصة فى اللغة وفى الشريعة أن تقبل تلامذتها من حملة الثانوية العامة دون شرط حفظ القرآن الكريم فقتلنا بذلك اللسان العربى . ومنذ سمحنا لدار العلوم ان تقبل حملة الثانوية العامة دون شرط حفظ القرآن الكريم الذى كان أساسيا لقبول الطلبة فى هذا الحصن الحصين للغة القرآن والتراث .

وكان الطلبة في كليات الأزهر وكلية دار العلوم يدرسون الشعر في جميع عصوره ويحفظون ألفية ابن مالك فيصبحون مرجعا في النحو ويدرسون العروض وبحور الشعر وكل ما يدخل عليها وما يتصل بها فكان عندنا علماء في علم اللغة .. إن فات بعضهم الذوق الأدبي الرفيع لم يفته العلم اللغوي الراسخ ...

ولقد صرخت على صفحات الأهرام .. أعيّدوا الأزهر إلى الأزهر وتفضل الشيخ الأكبر الدكتور بيصار رحمه الله واتصل بي وأراد أن يزورني فعزمت عليه أن أزوره أنا وفعلت ووعدني بأن الذي أطلب به سيتحقق في مدى عامين ومرت خمسة أعوام ولم يتحقق شيء وكنت قد كففت عن مواصلة المطالبة بعودة الأزهر إلى الأزهر مكتفيا بهذا الوعد من إمامنا الأكبر . ولكن الأزهر أفلح في إسكاته فقط وهذا أمر هين لم يكن يحتاج إلى كبير جهد ولم يفلح الأزهر أن يعود إلى الأزهر حتى اليوم . وما النتيجة ؟ النتيجة هذا الخطاب الذي قرأته في بريد الأهرام في يوم الخميس ٨ ديسمبر والذي كتبه طالب بالثانوية العامة عن جميع زملائه طلبة الصف الثالث علمي وأدبي بمدرسة لم تذكرها الأهرام ولست أدري لماذا أوربما كنت أدري . وقد نشرت الأهرام الخطاب بعنوان رسالة بليغة وعلق عليه المحرر بصرخة ألم وذعر وقد هالته الأخطاء التي جاءت في الخطاب . وقد فكرت أن أعيّد نشر الخطاب ولكنني رددت نفس أوردتها عن ذلك شعور بالغناء والقرع وأنا أقرأ فكيف أتمالك أن أنقل وكيف يستطيع القلم أن يخط هذه الكارثة على ورق .. لانتخف لن أنقل الخطاب إليك فإن كنت قرأته مرة فحسبك مرة ولن أزيدك ألما بأن أجعلك تقرأه



مرتين وإن كنت لم تقرأه فقد أنجلك الله ولا داعى لأن أصرف إليك من البلاء ما صرفه الله عنك سبحانه وتعالى .

ولكن حسبك. أن تعلم أن الخطاب يكاد يخلو تماما من كلمة صحيحة في الاملاء ولا أقول النحو وحسبك وحسبنا الله .. إنه نعم الوكيل والذي كتب الخطاب هو الفصيح بين إخوانه ، وأخواته هم طلبة الثانوية العامة الذين يختمون اليوم دراساتهم العامة أى أنهم أنتهوا فعلا أو ينتهون هذا العام من دراسة اللغة العربية جميعا والذي لاشك فيه أنهم أتموا دراسة الإملاء والنحو .

هؤلاء هم المدرسون في غد والمحامون والأطباء والمهندسون ولسان مصر في المجتمعات العربية والدولية . وإذا كان هذا لساننا فنحن إذن بكم لا نبين ولا أمل لنا أن نقول .. وويل لغدنا من غدنا وويل للغتنا من الناطقين بها .

فأى لغة عربية تلك التي نريد أن يدرس بها طلبة الطب ؟ وأين هي .. وعلى أى لسان تقال وبأى قلم تكتب ؟

كان الأزهر ودار العلوم هما حصن هذه اللغة ورئيس جامعة الأزهر شيخ جليل عالم باللغة علما أصيلا وعميد دار العلوم وأحد من أدباء عصره شاعرا وأستاذا وعالما بأسرار اللغة وخوافيها ..

ولكن ماذا يستطيع الرجلان أن يصنعا ؟

إني واثق أن الدكتور أحمد هيكل عميد دار العلوم يبذل من الجهد أقصاه ليقوم اللسان العربى على شفاه طلبته . ولكن كلنا يعلم أن الاتصال باللغة يكون في السنوات الخضر من حياتنا .. تلك السنوات التي تعلم فيها الدكتور هيكل القرآن الكريم في الكتاب فاستقام لسانه واستقامت له اللغة

وأحبها وأحبه فإذا هو صانع مع طلبة يلتحقون بكليته المستولة عن تخريج أساتذة اللغة واللغة عليهم غريبة ولولا المجموع - لعن الله اليوم الذى عرفناه فيه - ما ألتحق هؤلاء بكلية دار العلوم ، فهم يدرسون اللغة العربية لأنهم لا يملكون أن يدرسون شيئا آخر .

واللغة العربية - شأن كل لغة - كائن حتى ذو مشاعر واحساس فهى لاتحب من لا يعشقها ولا تفتح نوافذها وتكشف أسرارها إلا لمن تعلم أنه سادن فى محرابها متعلق بأستارها واهب نفسه لها ولجهاها وإبداعها وفنون سحرها .. أما الشيخ الدكتور فرهود فالأمر بالنسبة إليه أكثر صعوبة وكيف له أن يواجه هذه الكليات التى تدرس الشريعة واللغة والطلبة قادمون إليه لا يكادون يعرفون أن اللغة العربية إسمها العربية .. كان الله فى عون وعون الأساتذة الذين يقومون بالتدريس فى هذه الكليات .

ولقد نسمع قائلا يقول أن الصحابة لم يكونوا كلهم حافظين للقرآن الكريم ..

ولكن لغة الصحابة كانت هى العربية ولم تكن قد عدت عليها تلك العجمة التى تراكمت على اللسان العربى نتيجة اتصاله بالفرس والروم والترك ونتيجة مرور ألف وأربعمائة عام على نزول القرآن الكريم .

وحين ننادى اليوم بحفظ القرآن الكريم وعودة الأزهر إلى الأزهر لا نطالب بذلك خوفا على القرآن الكريم .. جل أن يخاف عليه أحد .. وقد جاء فيه وعد قيوم السموات والأرض « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » وقد فعل والمطابع اليوم تطبع أعدادا من المصاحف لا تطبعها من أى كتاب آخر ولكننا نطالب بحفظ القرآن الكريم لنحافظ على لغته ولغتنا التى بغيرها لن نستطيع عربى أن يكلم عربيا ..

- ٨٩ -

ونطالب بحفظه لنجد فى غد هداة ودعاة يعرفون كيف يعلمون  
الأجيال دينهم ولغتهم .  
وما أجهل أجيال اليوم بدينهم .. هذا الجهل الذى نشهده من  
المتطرفين وهم يعرضون على الرأى العام فى شاشات التلفزيون .. وما  
أجهل أجيال اليوم بلغتهم هذا الجهل الذى لا يحتاج إلى دليل أقوى من  
ذلك الخطاب الذى نشرته الأهرام يوم الخميس ٨ ديسمبر فحلت به  
نفوسنا حسرة وألماً ... ومرة ثانية وثالثة وألفاً .. حسبنا الله ونعم الوكيل ، ،

## الكاتب حق

قد يحسب بعض الشباب من الكتاب أن الكاتب ثورة دائمة ، ورفض مطلق وتلك نظرة سطحية فجأة . أن الكاتب أولا وأخيرا كلمة حق ، أنه صدق مع نفسه ليكون عند الناس صدقا . وإن لم يكن الكاتب عند الناس ثقة وحقا فهو لاشيء وليس يجدى أن يكون له مصفقون وهتافون ودعاة بين الصحفيين . فكل هؤلاء لا يستطيعون أن يجعلوا القراء يحترمون الكاتب في دخيلة أنفسهم .

ليس الكاتب مجرد ضجة في الحياة . وليس هو طلقات مدافع في الهواء فذلك شأن أصحاب السرك والهلوانات وليس شأن الكاتب . أن الكاتب لا عمل له في الحياة إلا أن يكون موصول الوشائج بال جماهير يخاطب عقولهم . وهز عواطفهم ويصل إلى الخوافى البعيدة عن نفوسهم . ولن يستطيع كاتب أن يبلغ من هذا شيئا إذا لم يصل إلى مكانة شريفة عند القارئ ، فإن القارئ لن يفتح عقله وقلبه وعواطفه إلا لمن يثق به ويقدر مكانته . قد يختلف معه الرأي ولكنه يحترمه .

ومادام يحترمه فإنه سيناقش رأيه وبواجه كل حجة . وكل رأى برأى فلما أن يقتنع بما يقول الكاتب أو يرفضه ولكنه على الحالين يوقر الكاتب وينزله من نفسه منزلة التقدير والإكبار والإجلال .

والقارئ الذى يستحق لقب قارئ لا يأبه بجفلات الزفاف التى تقام لأى كاتب وليس يعنى بالمواكب التى يصطنعها أصدقاء كاتب ما لأعماله ولا يأبه القارئ الجدير بهذا اللقب بطلقات النار التى يطلقها الصغار فى

زفة الصحافة مصوبة إلى الهواء إنما القارئ يعني فقط بما أنتجه الكاتب من عمل . مقالة كان هذا العمل أو رواية أو قصة أو كتابا أو كان العمل قصيدة أو ديوانا .

قد تصلح هذه المواقب أن تجعل الكاتب شهيرا . ولكن إن كانت الشهرة وحدها هي ما يسعى إليها الكاتب فهذا أئفه من أن يكون كاتباً وأحق من أن يحمل قلماً . إنما الشهرة التي يصيبها الكاتب أثر جانبي يتم له دون أن يسعى إليه فليس الكاتب مهرجا يوزع إعلانات الحفلات ولا هو طبالا يضرب طبوله ليعلو منها الصوت ثم لاتقول شيئا .

إنما الكاتب رأى . والرأى منطق والمنطق ثقافة . والثقافة جهد ومبحث وعناء وإن حاول الكاتب أن يستغنى عن هذا جميعا بادعاء الثورة على مجتمعه . أو بالتظاهر برفض كل ما هو مستقر من قيم جماعته وأمته . فإنه قد يشتهر أمره بين الناس حيناً ثم ما يلبث أن يحبو منه الضوء فما هي الإعشية وضحاها حتى يصبح بين الناس أضحوكة . أو يصبح على الأقل نسبياً منسيا . وإن دام حوله التهليل وإن علت بإسمه الطنطنة فإنه سيظل عند الناس غير ذى مكانة ولا احترام ولا توقير .

وقد تسألنى ما حديثك هذا عن القارئ الجدير بهذا اللقب .. ومن حقه أن تسأل . فقد يظن بعض الناس أن كل من يقرأ قارئ وتلك أغلوطة ما أبعدها عن الصواب .

إن القارئ هو الذى يقرأ للكاتب وليس القارئ من يكتفى بأن يقرأ عن الكاتب وإنه كثيرا ما تكتب الصحف أخبار الكتاب وأنباء ما يشهدون من ندوات أو ما يذيعون من مقابلات بالإذاعة والتلفزيون . وكثيرا ما تتناول الصحف والمجلات أنباء طريقة عن بعض الكتاب قد تكون مسلاة

للقراء . أو قد تروى الصحف والمجلات أخبارا عما يعد للكاتب من روايات في السينما أو الإذاعة أو التلفزيون أو المسرح . ولكن الكاتب ليس هذه الأخبار . وإنما الكاتب هو ما يكتب وما يقول لا ما يكتب عنه من أخبار وما يقال عن أعماله من أنباء .

ولا بأس بالقارئ أن يطالع هذه الأنباء ولكنه إن لم يقرأ ما كتبه لكاتب من إنتاج أدبي فهو ليس قارئاً وإنما هو واحد من الناس الذين يريدون أن يتسلوا بالحديث عن أنباء الكاتب .

القارئ الجدير بلقبه هو هذا الذي يتابع الكاتب فيما يكتب وليس فيما يحيا من حياته الخاصة . وهؤلاء القراء نادرون .

أذكر أنني كتبت بجريدة الأخبار مقالة نقدية عن عمل لأستاذنا نجيب محفوظ وفي يوم ظهور المقالة وكان ذلك منذ عشرين عاما ونيف - ظهر بالصفحة الأخيرة من الأهرام خبر عنى أنني دعوت ممثلة كانت مرشحة لدور في فيلم عن إحدى رواياتي إلى بلدى بالشرقية وأنتى قدمت لها الفطير المشلت . وأذكر فى ذلك أننى لم ألق أحدا من الناس إلا حدثنى عن خبر دعوتى للمثلة إلى بلدى غزالة ولم ألق أحدا حدثنى عن المقالة التى نشرتها بصحيفة الأخبار . كل هؤلاء الذين لقيتهم فى هذا اليوم لا اعتبرهم قراء . إنما هم مطالعون يبحثون عن الأنباء المسلية ليملاؤوا فراغ يومهم فهم يتسلون بنا ولا يقرأونا .

وأذكر أننى دعيت إلى ندوة عن رواية لى بقصر الثقافة بالاسكندرية لمناقشة رواية لى كانت قد عرضت بالتلفزيون . ولكن الندوة كانت لمناقشة الكتاب طبعا لا العرض التلفزيونى . فأننا مسئول عن كتابى الذى أوقع

- ٩٣ -

عليه ولست مسئولاً عن أى عمل ينتج عن رواية لى سواء كان ذلك فى السينما أو التلفزيون أو المسرح أو الاذاعة .

وقبل الندوة جلست بحجرة رئيس قصر الثقافة ليقدم لى فنجان قهوة ، وبينما أنا فى هذه الحجرة قديم إلى أستاذ ذو وقار ووجهة وقدم نفسه لى فإذا هو أستاذ أدب عربى بإحدى الجامعات فرحبت به واستقبلته بما يخلق بأستاذ جامعى وجلس الدكتور إلى جانبي وراح يمتدح روايتى موضوع الندوة ويبدى إعجابه الشديد بها وفى سؤال عابر لم أكن أشك فى إجابته بل ربما دعانى إلى طرحه ذلك الارتباك الذى أشعر به دائما إذا طالعنى المديح مواجهة . فأنا حينئذ لا أجذب شيئا أقوله إلا غمغمة ليس لها معنى وهمهمه لاتكاد تبين . وجمعت كلمات سؤالى بصعوبة بالغة وقلت للدكتور :

- طبعا حضرتك تتحدث عن الكتاب . وصعقت وأنا أسمعته يقول فى بساطة بلهاء .

- لا والله فأنا لم أقرأ الكتاب وإنما شاهدته بالتلفزيون . وطبعا لم أكمل الحديث معه والتفت إلى الآخرين الجالسين معنا ورحت أتحدث إليهم وكأن الدكتور غير موجود . إنه ليس بقارىء فكيف يكون أستاذا . والكاتب لا يعنى بهؤلاء الذين يقرأون عنه وإنما يهتم إهتماما بالغا بمن يقرأون له .

والكاتب أيضا ليس يعنى بمن يسبه لمجرد السباب أو يمتدحه لمجرد المديح وإنما يعنى كل العناية بمن يعارضه رأيا برأى وحجة بحجة ويعنى كل العناية ويحمد غاية الحمد أولئك الذين يمتدحونه عن بينة ووعى مقدرين

فنية العرض عنده وعمق المعاني التي يعبر عنها والابعاد التي تنبعث من اعماله .

ولا يستطيع كاتب أن يرضى الناس جميعا . وأذكر في عام ١٩٥٨ أن ناقدا تناول عملا لي بنقد قاس عنيف في إحدى المجلات العربية . ووجدت نفسي وأنا أقرأ المقال أثور ثورة عارمة وأعد نفس للرد عليه . وفي غضبتي طلبت أستاذنا نجيب محفوظ لأشهره على هذا النقد الجائر الذي كتبه ذلك الناقد فاذا نجيب يشعر بالثورة التي تعتمل بنفسى ويقول في هدوء رزين . - الله ... ماذا جرى يا فلان . وهل تنتظر أن يرضى عنك كل الناس . إننا إذا أرضينا نصف قرائنا نكون قد حققنا نجاحا ساحقا .

ونزلت كلماته على ثورتى ماء قراحا ووجدت نفسى سعيدا بعد غضب ، هادئا بعد فورة . إذا كان نجيب محفوظ يقول هذا فإنه يصبح حتما على من الحتم ألا أغضب لنقد أبدا .

ومنذ ذلك الحين لم أرد على ناقد لعمل لى قط وما أحسب أنني سأرد على ناقد لى أبدا . وفلسفت هذا الموقف لنفسى بأننى إذا كنت اليوم حيا وأستطيع أن أناقش ناقدا فاذا أنا صانع فى غد حين أكون بجوار رب كريم وينقد ناقد كتابا لى . واقتنعت أيضا أنه مادام الناقد قد كون رأيه عن كتابى على النحو الذى نشر به نقده فذلك شأنه . فإنه إذا كان صادقا مع نفسه فهو يعبر عن موقع عملى فى نفسه تعبيرا أميناً . أما إذا لم يكن صادقا مع نفسه فما حاجتى إليه وما حيلتى فيه .

أما الذى يسبى دون نقد فإننى أجده نفسى كالإنسان مسوقا إلى الرد عليه لأبين له على الأقل أن السباب أيسر الأمور وإنه إذا كان يبيح هذا لنفسه فعليه أن يتحمل ما أبيحه أنا أيضا لنفسى .



أما إذا كان السبب من نكرات يحاولون به أن يتواثبوا على أكتافى  
فإننى أحرهم من تحقيق أملهم ولا أذكرهم وكأنهم ما قالوا وما كانوا .  
والكاتب صاحب رأى ولكل صاحب رأى معارض . وكم اختلفت  
مع أبى الروحى وزعيم كتاب الغرب توفيق الحكيم وكم احترم بيننا النقاش  
ولكن هذا الخلاف لم يستطع يوما أن يمس شعورى نحوه بالبنوة وشعوره  
نحوى بالأبوة وهى بنوة وأبوة لاتقف عند المشاعر بل وتعدوها إلى أنه  
يعتبرنى المستول الأول عن كل ما يمكن أن يطلبه أب من ابنه فى مألوف  
حياة الأبناء والآباء .

وكم اختلفت مع أخى الأعز الكاتب الكبير عبد الرحمن الشراوى  
وقد كتب كل منا رأيه المعارض للآخر فما نددت منى كلمة تمس احترامى له  
واكبارى وما حظ قللمه فى معارضتى إلا كل حب وعفة .  
وأذكر أننى عارضت رأيا له فى مجلس الشورى معارضة عنيفة ثم  
خرجنا معا من الجلسة بعد انتهائها وجلسنا فى استراحة الأعضاء تبادل  
الحديث ونرتشف القهوة . ويمر بنا إخواننا الكرام أعضاء المجلس فيصيبهم  
الدهشة والعجب . كيف عارض كل منا الآخر داخل الجلسة ثم خرجنا  
وكان كلاً منا يؤيد الآخر . ولم يدهش الأعضاء بعد ذلك حين رأوه  
ورأوى يؤيد كل منا الآخر داخل الجلسة فى كثير من الآراء . فإن المعارضة  
بيننا هى فى ذاتها عارضة وليست أصيلة وهى أيضا لا تجرؤ أن تمس تلك  
الصلة الحميمة الحبيبة العميقة التى تربط الصديقين الأخوين منه ومنى .  
الوحيد الذى لم يختلف معه قط هو أستاذنا نجيب محفوظ على طول  
سنوات الصداقة الحميمة بيننا . وهى صداقة تزيد عن صلات كثير من

— ٩٦ —

الأخوة وقد زادت - أدامها الله - عن أربعين عاما . والعجيب أن توافقنا  
في أعمال أدبية كثيرة صدرت له ولى في أوقات مترامنه .  
وبعد فأنا لا أعرف أننى - والحمد لله - لأحمل عداوة لأجد من  
الكتاب ومهما تختلف بناء الآراء فإننى أكن له الاحترام مادام يكاثبا حقا  
وليس مزيفا وأعتقد أو ربما يحلو لى أن اعتقد أنه هو الآخر يحتفظ لى بنفس  
هذه المشاعر .

## معذرة .. شكسبير

فالأمر الذى لاشك فيه أنك علمت ما صنعناه بك .. فأنت الآن روح بلا جسد وأغلب الأمر أن روحك تتابع مسرحياتك حينما تمثل هذه المسرحيات يعينك على ذلك أنك تخلصت من قواعد الجسوم وابتعدت عن دنيا الناس . وأنت رأيت ما صنعه بك التلفزيون المصرى منذ بضعة أيام . ولكن دعنى أروى للناس ما صنعه عباقرة المسرح بنا نحن المشاهدين العزل الذين لا نملك لسيطرتهم التلفزيونية دفعا أو دفاعا . وإنما ينفردون بنا ويصون علينا جام عبقريتهم فى ظلم لا يعرف الرحمة وفى قسوة لا هودة فيها ولا شفقة .

أعلنوا يا شكسبير أنهم سيمثلون رواية من خوالدك فى التلفزيون فانتعشت بنا الآمال وأعددنا أنفسنا لمشاهدة شكسبير .

وجاء الموعد وبدأ عرض المسرحية ويل للخالدين . ما هذا الذى يصنعونه بشكسبير . ولأى فئة من الناس يقدمون أعماله ومن هؤلاء الذين سيشاهدون شكسبير باللغة العامية ويحمدون ما يشاهدون . أى استخفاف هذا الذى يأخذون به الأعمال الجادة الرفيعة . إذا كنا لا نريد أن نحترم شكسبير أفلا نحترم لغتنا العربية على الأقل . ولكن لا . ما إلى إهانة شكسبير قصدوا . وإنما المقصود بالإهانة هى اللغة العربية ذاتها . فهكذا استقر بهم الرأى . أن التقديمية والحضارة والسمو ومواكبة الزمن لا تكون إلا بتحطيم اللغة العربية واصطناع العامية وقد استطاعوا بصوتهم الجهير الكبير أن يجذبوا إلى ميدانهم العامى كتابا أكن له كل احترام وتقدير وهو

(قراءات ومشاهدات ٤م)

الدكتور سمير سرحان الذى اختار العامية ليترجم بها شكسبير وهو شكسبير .

والدكتور سمير سرحان من القلة النادرين الذين يعرفون قدر شكسبير كل المعرفة والذين يجيدون لغتهم العربية كل الإجادة ولست أدرى ما الذى حدا به أن يختار العامية ليترجم بها شكسبير . ولست أدرى أيضا لماذا قبل التلفزيون اذاعتها . أغلب الظن أن الدكتور سمير أراد أن يجدد شكسبير وأن التلفزيون المصرى أراد أن يكرم العامية ويبالغ فى تكريمها لأنه يرى العربية غير جديرة بالتكريم لأنها أصبحت شيئا قديما باليا لا يصلح لغة للحديث .

وربما خشى التلفزيون المصرى أن يرميه الجمهور بالثقافة فينصرف عنه ويتعد عن مشاهدته كأن التلفزيون قد أصبح فجأة شركة إنتاج سينائية تخشى ألا يشتري المشاهدون التذاكر وتصبح الخسارة خسارة مادية وكأنى بالتلفزيون قد ضحى بالمكسب الثقافى ليضمن الربح المالى . وتلك إذن عجيبة . فالذى أعرفه أن هذه المسرحيات تباع إلى الدول العربية والذى لاشك فيه أن اللغة العربية أيسر عند هذه الدول من اللغة المحلية المصرية . والذى لاشك فيه أيضا أن الشعب المصرى يفهم العربية ويقرأ بها صحفه ويسمع بها نشرات أخباره فى التلفزيون والإذاعة على السواء .

ولكن اللغة العربية مع ذلك أصبحت غريبة فى مصر منذ هجر الأزهر الشريف بناء الأزهر الشريف ومنذ أصبحت دار العلوم وقد انهار الأساس الأعظم الذى كانت تقوم عليه من شرط حفظ القرآن الكريم للإنتساب إليها .

منذ هذا اليوم الأغبر الكتيب في حياة مصر أصبحت اللغة العربية بلا دار تحتوى بها وبغير موئل تأوى إليه . وجاء التلفزيون بمذيعاته اللكنات فازدادت اللغة العربية تشردا ثم أمعن التلفزيون فعرض الروايات المترجمة من اللغات الأجنبية باللغة العامية ثم ازداد اليوم إمعانا فعرض شكسبير وهو شكسبير باللغة العامية .

اتعجب بعد ذلك أن نجد شبابا لا يقوم لسانه ولا يعرف لغته . ولغته هذه هي قوام دينه وأساس إيمانه وعلى صرحها الشامخ وفي قفته يقف القرآن الكريم محفوظا مقدسا بامر من العلى القدير . مجهول الأصول تختلط معانيه وأوامره ونواهيهِ عند الشباب .

ويريد الشباب أن يكون مؤمنا ولكنه يجهل الطريق إلى الإيمان لأن صلته باللغة التي يفهم بها قرآنه مقطعة الأسباب . ممزقة الروابط . منفصلة الأوشاج . وتبلى مصر بالطامعين في الدنيا البائعين لآخرتهم بضمن بنحس من رغبة في سلطان فيحرفون كلام الله عن مواضعه ويتخذون منه وسيلة إلى عقول الشباب البريء الساذج ويشعلون الحريق ويؤججون النار ويعينهم جهل الشباب بلغتهم وقرآتهم ودينهم فإذا مصر المسلمة المؤمنة حصن الأزهر وسماء الآلاف من المآذن تصطلى من اجتماع الأغراض الدنيوية الرخيصة بجهل الشباب الفادح .

وإذا كنا نبكى دما في مصر . فإننا نبكى دما وروحا وقلبا لتفشى الأمة الدينية عند الشباب . وتفشى الضمير الميت ويبع الآخرة بالدنيا عن المغرضين من مثيرى الفتن ومشعلى الحرائق .

والإيمان أعز ما يملك الإنسان في حياته . على شاطئ منه كرم يرسو المضطرب من حياتنا . وعند مرفأ منه مضىء يشرق ما اعتراه اليأس من

مالنا . وعند حصن منه منيع تلوذ نفوسنا من نزعات الشيطان . ومن إغراءات الحياة . ومن اللذة الهدامة . ومن المال الحرام ومن الكذب والنفاق والسحت والرشوة وبيع الضمير .

ولكن المغرضين ممن يدعون بالدين علما وماهم بذلك جعلوا من دينهم ساحة يصحبون فيها الشيطان ويقبلون فيها على إغراءات الحياة من لذة ومن كذب ومن نفاق ومن سحت ومن رشى ومن ضمير مباع . ولكن الله أكبر . والعزة له وحده ولا غالب إلا هو سبحانه .

إن في مصر مشايخ أجلاء قادرون دائما أن يجعلوا الصحيح وأن ينفخوا في الباطل فإذا هو زيد جفاء . ويظل الباطل كما كان وكما سيقى زهوفا هشيا محظا . وقد قال المصاييح الهداة كلمتهم وهم العلماء الأئمة ارتضيناهم للفتيا في شئون ديننا واخذنا عنهم علما بكرم كتابنا وبالصحيح الثابت من سنة رسولنا ﷺ .

وما دعا كتابنا يوما إلى الفتنة بل جعلها أشد من القتل وعلى هدى هذا السنن سار سيد البشرية . وخاتم الأنبياء ﷺ . أم جعل المغرضون من أنفسهم أنبياء جددا .. إذن فقد باءوا بسخط من الله ويغضب من رسوله ومن اتبعه بإحسان إلى يوم الدين . أن الأمر جد لاهزل فيه . فإلى إذن أرى وفي التليفزيون أيضا شيخا يخلق قوانين ما أنزل الله بها من سلطان ويجعل من اللمم كفرا .. أى ردة .. أى أنه يريد أن يقيم حد المرتد على مخطئ أو مخطئة في رأيه دون أن يثبت خطأها في عرف جمهور الفقهاء ولا كبار أئمتهم .

إن إنشاء الجريمة لا يكون إلا بنص صريح من القرآن ذاته ولا يجوز فيها قياس ولا استصحاب ولا استحسان ولا اجتهد فإنه لا جريمة ولا عقوبة إلا بنص .

إذن فهم لم يكتفوا أن يجعلوا من أنفسهم أنبياء جددا ويريدون أن يصبحوا آلهة أيضا أم تراهم لم يقرأوا ما جاء في معنى الحديث النبوي الشريف . من حلل حراما أو حرم حلالا فليتبوأ مكانه من النار أو كما قال : فإن لم يكونوا قرأوه أو عرفوه ففيم تصديهم للفتيا وفيم جراتهم على حدود الله وكيف تبلغ بهم القحة أن ينشؤا جرائم ترتب عليها حدود منها إعدام النفس التي حرم الله إيذاءها إلا بالحق .

اللهم يا ذا الجلال . نشهد أنه لا إله إلا أنت ونشهد أنك قلت تعاليت وتعالى قولك « اليوم يئس الذين كفروا من دينهم فلا تخشوهم واخشوني . اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا » من الآية ٣ سورة المائدة .

اللهم يا ذا العزة أنت وحدك القهار فوق عبادك وأنت القادر على الفاسقين من عبادك وأنت وحدك تعلم ما لا نعلم وما لا أحد يعلم سبحانه إنك أنت العزيز القدير .

## لو.. حرف امتناع الوجود

أنتمى إلى ثورة ١٩ بالمولد فأبى أحد رجالها وما أنا بحاجة إلى ذكر دوره فيها فقد أغنانى عن ذلك كبير مؤرخى العصر عبد الرحمن الرافعى كما أغنانى الأستاذ عبد الحميد جودة السحار بما أورده فى مذكراته عن هذه الفترة وكذلك فعل كل من كتب عن هذه الثورة الخالدة فى تاريخ مصر . وقد عرفت من أبى تاريخ هذه الثورة منذ بدأت حتى انتهت بتصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ ذلك التصريح الخالد فى تاريخ مصر الذى قال عنه شوقى :

إذا التصريح كان براح كفر فلم جن الرجال به غراما  
وكيف يكون فى أيد حلالا وفى أخرى من الأيدى حراما  
وما أدرى غداة سقيتموه اترياقا سقيتم أم سماما

وهذا الكلام كان موجها يومذاك إلى حزب الوفد الذى رفض التصريح ثم انتفع بآثاره بصورة لم تتحقق للحزب الذى آتى بالتصريح والذى اشترك فى وضع الدستور وإذا نحن فى هذا الحديث لما انتهينا وما إلى هذه الأحداث نظرت وأنا أكتب مقالى هذا .. وانما هو استطراد أغرانى به الحديث عن الثورة الخالدة .

وكنت عرفت فيما عرفت من أبى أن الثورة سنة ١٩١٩ بدأت فى كلية الحقوق بعد أن كان الشعب المصرى كله متحفزا لها منتظرا لقيامها فى أية لحظة فكانت مصر يوم ذلك شعلة معبأة تنتظر الشرارة وتتوقعها من أى مصدر حتى انقدحت الشرارة من كلية الحقوق .



وعرفت بعد ذلك الرئيس السابق المرحوم خالد الذكر إبراهيم عبد الهادي باشا وكنت دائم الزيارة له لفترة تقارب العشرين عاما وعرفت منه أن طلبة الحقوق نظموا مظاهرة تجمعت في فناء الكلية تهتف هتافات معادية للاحتلال الذي نقي سعد زغلول ومحمد محمود واسماعيل صدقي وحمد الباسل ووقف ناظر الحقوق الانجليزى يخطب في الطلبة ويأمرهم بأن يعودوا للدراسة التي جاءوا ليتلقوها رافضا منهم أن يعملوا بالسياسة وصعد ابراهيم عبد الهادي من بين الطلبة ووقف إلى جانب الناظر وقال له اننا جئنا هنا لتتعلم الحقوق ولاسيبل لنا أن نتعلم الحقوق من قوم نفوا آباءنا عن أرض الوطن وليس من المعقول أن نعرف الحقوق من قوم اغتصبوا حقوق بلادنا ثم هتف « نحميا الثورة » وبدأت ثورة ١٩١٩ .

وقرأت مثل هذا أيضا دون ذكر أسماء في كتاب الرافيى وقرأته أيضا بلا اسماء في الروايات التي أرخت للثورة مثل رواية أستاذنا نجيب محفوظ ( بين القصرين ) وكتبته أنا في روايتي « الضباب » ثم كتبته بصورة أخرى في روايتي طائر في العنق وأيضا لم أذكر أسماء لأن الرواية تنقل آثار الاحداث وليس من شأنها أن تؤرخ للأحداث .. ولكنها مع ذلك إذا تعرضت للتاريخ تحتم عليها ألاتشوه معاملة وألا تطمس سماته الكبرى .. وكم أنا سعيد أن ينشر هذا الذي اكتبه في نفس اليوم الذي اختاره الخالدون الثلاثة سعد - وعبد العزيز فهمي - وعلى شعراوى ليذهبوا إلى المندوب البريطانى ويطالبوا بإنهاء إحتلال والجلاء عن بلادهم بادئين بذلك أعظم ثورة شعبية عرفها التاريخ الحديث .

وكم أنا أسيف حزين أن أذكر السبب الذى جعلنى أكتب هذا الذى أكتب فقد شاء قدرى أن أشاهد فى التلفزيون المصرى رواية عن سلطنة الطرب (منيرة المهدي) فشهدت عجباً .

رأيت تاريخ مصر تصنعه المغنيات والراقصات .. ورأيت السينما المصرية تسجل كفاح مصر بزعامة اولئك المغنيات والراقصات .. فقد شهدنا المظ وكأنها مصطفى كامل وعبد الحامول وكأنه محمد فريد .. وشفيقه القبطية وكأنها سينوت حنا وهانن أولاء نشاهد منيرة المهدي وكأنها سعد زغلول وزوج ابنتها ابراهيم عبد العال وكأنه ابراهيم عبد الهادى .

وتلك كارثة ولكن انتظر فان الداهية الكبرى لم أذكرها بعد لقد فوجئت أن كل الذى عرفته من أبى ومن ابراهيم عبد الهادى ومن عبد الرحمن الرافعى ومن السحار ومن نجيب محفوظ ومن كل الذين كتبوا عن ثورة ١٩١٩ وكل الذين عرفتهم من رجالات هذه الثورة مثل النقراشى باشا وأحمد ماهر باشا لم يكن تاريخاً وإنما كان تأليفاً .  
فالثورة لم تنفد شرارتها من كلية الحقوق كما روى أعلامها . وكما ذكر التاريخ وكما قالت الحقب .

وإنما الحقيقة كما جاءت فى الفيلم أن الثورة بدأت من كباريه منيرة المهدي بين كاسات الخمر وضرب الدفوف وعزف الأوتار ( وهز الوسط ) ودق الصاجات .

وحسب تاريخ مصر الله إنه سبحانه وتعالى نعم الوكيل ..  
ولكن يبقى شئ فى هذا الفيلم التاريخى الجليل فهو مثل كل المصائب ليس يخلو من ظاهرة تستحق التسجيل .. فقد صور الفيلم عودة منيرة

- ١٠٥ -

المهدية إلى الغناء في أخريات حياتها بعد أن يبس صوتها وجف ماؤها وتقلصت عن نغماتها الطلاوة وانحسر انطلاقها إلى خفوت ووهن .

والجمهور وحش كاسر حين يتصدى للحكم على فن من الفنون فهو لا يذكر للفنان الذى يعرض عليه فنه ماضيه ولا سابقته في الميدان وليس يرعى له تقدم سن وليس ينظر إلى السنوات الثقالة التى يحملها المشتغل في الميدان العام مهما يكن نوع هذا الميدان فنا كان أو سياسة أو ثقافة .

وإنما هو يعنى فقط بما يعرض عليه .

وقد وقعت منيرة المهدية في خطأ فادح حين حاولت أن ترغب الأيام على الشباب في حين الأيام عجوز مثقلة بالشيخوخة .

ولكن العجيب أن منيرة المهدية لم تكن أول من حاول هذه المحاولة مع الأيام وهكذا لم يكن عجباً أن تكون الأخيرة فإزلنا نشهد من يحاول أن يضنى الشباب على الشيخوخة .

ويعيد التاريخ نفسه .. ويرغم الواقع الواهين أن يفيقوا إلى الحقيقة ويفيئوا إلى الرشد .. ولكنهم مساكين فإنهم لا يفيئون إلا بعد أن يكونوا قد أهدروا كرامة الكبر فيهم وسحقوا جلال السنين .

وتلك سنة الحياة في أبنائها فكل إنسان يظن أن ما يقع للآخرين لا يمكن أن يقع له وكل إنسان يظن أنه استثناء من البشر لا يخفى عليه ما يخفى على سائر أبناء البشر .

ولو أن البشر اتخذ من تاريخ البشر عبرة لحفظ الكبر كرامته ولا تمتنع القاتل عن القتل وارتدع السارق عن السرقة .

و (لو) حرف امتناع لوجود .. فكيف تكون دنيا إذن إذا هي لم تمتلئ بالمضيعين لكرامتهم المتهين لحياة الإنسان المعتدين على حقوق الآخرين .

## حياة من السير

كانت أنواع القطن التى تزرع فى مصر فى ثلاثينيات هذا القرن نوعين هما - فيما أذكر - المعرض والزجورا وكان الزارعون يختارون النوع الذى يوجد محصوله فى الأرض التى يقومون بزراعتها وحدث أن جمع أحد أعيان الريف الظرفاء قطنه وعرضه للبيع وجاء إليه التاجر يريد أن يشتريه وسأل التاجر .

- ما نوع قطنك .  
- أيهما الأعلى سعرا .  
- المعرض .  
- إذن فقطنى معرض .  
- عظيم وأنا اشتريت .  
ودفع التاجر العربون وفى اليوم التالى أتى بالأكياس لتعبأ ودخل يرى القطن ولكنه قبل أن يمد إليه يده عرف القطن ونوعه والتفت إلى الظريف البائع .

- ولكن يابك هذا القطن زجورا وليس معرض .  
- كيف .  
- أنا لا أحتاج للفحص .  
- ولكن هذا الذى تقول غير صحيح .  
- كيف ؟ هذا أمر لا يختلف فيه إثنان .  
- قل لى أولا قطن من هذا ؟

- قطنك أنت .

- فأنا وحدي صاحب الحق في تسميته وقد سميته معرض وأنا حر .  
وأصبح هذا الحوار نادرة يتندر بها أبناء المنطقة جميعا على أنه نكته  
يتناقلونها أو على الأقل هذا ما كنت أظنه أنا حتى جاد علينا الزمن الأخير  
بجماعة من النقاد يصنفون الكتاب حسب ما يشتهون يشتهون من يشاءون في  
قائمة الأدب وينفون عنها من لا يرضون عنهم وإن كان الفلاح الظريف قد  
رأى أن محصول قطنه ملكه هو يسميه بالإسم الذي يختاره ، فقد رأى  
النقاد الذين أشير إليهم أن الساحة الأدبية جميعها ملك لهم يدخلون فيها  
من يشاءون ويمنعون عنها من لا يتفق معهم في المذهب ومن لا يبدل ماء  
وجهه عند أقدامهم لينال منهم تذكرة الدخول إلى الساحة الأدبية التي  
استقر في أوهامهم أنهم يملكونها .

والإذن منهم بالدخول أو المنع يقع بأحكام نهائية لا خياليات لها ومن  
ثم فهي أحكام غير قابلة للاستئناف أو لإعادة النظر .  
فالحكم منهم يصدر بالصمت أحيانا أو يصدر في أحيان أخرى بمرسوم  
أو فرمان خديوى يرسم الأسماء التي يرضون عنها أدباء ولا يذكر أسماء  
المغضوب عليهم .

وإذا كان الله سبحانه وتعالى يدخل إلى جنته من أحسن عملا وإلى  
جحيمه من أساء وإذا كان جل علاه يعرض الناس في يوم الحشر  
ويحكمهم مع أنه يعرف ما يخفون وما يبدون وإذا كان قدس عدله يريد  
لعبادته أن يكونوا على بينة من أسباب الحكم لهم بجنات النعيم أو الحكم  
عليهم بعذاب الجحيم فإن النقاد يستكثرون هذا على عبادهم من الكتاب

فيقربون من يستلطفون ويتجاهلون من يستثقلون ولا يقبلون أن يسألهم أحد من الناس لماذا فهم يرون أنهم فوق السؤال بل المسألة .

ولهذا لم يكن عجباً أن يصبح الكتاب والقراء في واد والنقاد في واد آخر صنعه لهم كبرهم الكاذب وخداعهم لأنفسهم واعتقادهم الموهوم أنهم من جنس غير جنس الناس . ومن طينه غير طينتهم .

ولما كان الناس الذين هم القراء لا يحبون أن يخاطبوا جنساً غير جنسهم فقد أصبحوا بعيدين كل البعد عن النقد لا يشعرون بهم ولا ينتظرون رأيهم فيما يصدر من أعمال فنية وتصدى القراء أنفسهم للحكم على الأعمال الفنية يقبلون عليها بالقدر الذى يقدرونها به غير ملتفتين إلى النقد وآرائهم . ولكن هذا الحديث عن بعض النقد ليس يمنعني أن أذكر أن هناك نقادا من الجيل الذى لا أستطيع أن أصفه بالشباب ولا أستطيع أن أتجاوز به الكهولة ولكنه جيل يمثل عندى لطف الله الذى يرسله سبحانه عند كل خطب ليزيح بالأمل فيه قتامة اليأس .

ولكن أفراد هذا الجيل قلة لا تستطيع أن تواكب الأعمال الفنية الكثيرة التى ينتجها الكتاب المنشئون .

أما النقاد الذين مارسوا النقد فى الخمسينيات والذين تجاوزوا اليوم الكهولة والذين كنا نأمل عندهم أن يتصدروا حركة النقد الأدبى فى مصر والعالم العربى فقد انشغلوا بغير النقد وانصرفوا عن تقديم الأعمال الأدبية للناشئة وعن تعميق الأعمال الفنية .

وإني أكتب هذه الكلمات فى ذكرى عميد الأدب العربى الدكتور طه حسين الذى ظل إلى آخر يوم من أيام حياته يشجع ناشئه الأدب ويقدم أعمال الكبار من الكتاب .

والدكتور طه حسين زعيم جيل العائقة وقد كان رحمه الله أدبيا شاملا لأنه أدرك أن الدور الذى ينبغى لجيله هو أن يفتح النوافذ جميعا بين الأدب العربى والأدب العالمية جميعا فقد كان أستاذا فى الجامعة وكل أجيال الأساتذة فى الأدب العربى اليوم هم تلامذة تلامذته وهو أول من وضع النقد العربى على الأسس العالمية بعد أن كان النقد فى كتب التراث لايزيد عن أحكام جامعة أو استقصاء للالفاظ أو وضع قواعد نقدية للشعر وحده وما كان هذا قصورا عند هؤلاء النقاد القدامى فقد كان الشعر هو الأدب العربى كله أو يكاد ولم تكن الألوان الجديدة من الأدب قد ظهرت بعد فى أدبنا .

فحين ظهر مسرح توفيق الحكيم بادر طه حسين يشيد بهذه الظاهرة الجديدة فى الأدب العربى ، وحين ظهرت زينب لأستاذنا العظيم الدكتور محمد حسين هيكل باشا لم يكف الدكتور طه حسين بالنقد وإنما كتب فى الرواية حتى لنكاد نقول أنه لم يترك لونا من ألوان الرواية دون أن يكتب فيه ، فهو يكتب صراع الإنسان مع عقبات الحياة فى الأيام التى لا أحب أن اعتبرها سيرة ذاتية وإن كانت تروى تاريخ حياته إلا أنني أعتقد أن السيرة الذاتية لا تتحقق إلا إذا أسفر الكاتب سفورا تاما عن اسمه وعن شخصيته الحقيقية أما إذا روى عن شخص آخر حتى وإن لم يتخذ له إسما قائلا عنه الفتى مثلما فعل الدكتور العميد ، وإن هو اصطنع لأشخاص الرواية أسماء غير أسمائهم فإن العمل حينئذ يصبح عملا روائيا لا يحاسب الكاتب محاسبة تاريخية وإنما ينظر إليه على أنه إبداع فنى .

وكتب طه حسين الرواية الرمزية فى شهرزاد وكتب رواية الأسرة فى شجرة البؤس وكتب رواية الصراع مع التقاليد فى دعاء الكروان وكتب

صراع الإنسان بين آماله وقدراته في رواية أديب وإنشاء الأعمال الفنية القصصية والروائية التاريخية وعلى هامش السيرة وفي المعذبون في الأرض ولا سبيل إلى الإحصاء الكامل . ثم ننظر إلى الدكتور العميد فتجده قد ألف في التاريخ. أعمالاً أصبحت برائع أسلوبه وبتدقيقه كالنمر حينا وكالبحر أحيانا أجمالا أدبية. من سوامق الأدب العربي مثل مرآة الإسلام والشيخان والفتنة الكبرى .

. ولا يقف الرائد العميد عند هذا بل يقدم الأعمال الفنية الكبرى في الأدب الفرنسي من مسرح وقصة .

فليس عجيبا إذن أن يعرف العالم العربي هذا الجيل على أنه جيل الأدب الشامل الذي يعمل قلمه في شتى مناحي الأدب وفروعه. وكان طبعيا. أن يكون الجيل التالي له هو جيل التخصص ، فيتخصص أدباء في فن الرواية والقصة وآخرون في فن المسرح. وآخرون في الأدب النقدي . وقد ظهرت أجيال الروائيين وتتابعت أعمالهم وملأت الساحة الأدبية في العالم العربي اجمع .

وظهر جيل المسرحيين. وإن كان مقصرا بعض الشيء وظهر النقاد إلا أنهم قليلا ما ثبتوا في مواقعهم ثم مالوا إلى الأدب الإنشائي أو البحث عن المال أو الصمت الكامل. فأصبحوا وهم لا ينتمون إلى الأدباء المنشئين ولا هم إلى النقاد ينتسبون ، واكتفوا بأن يطلقوا حكما عاما ظالما لا عدل فيه ولا حق أن الحركة الأدبية قد خمدت. ليغفوا أنفسهم من تأثير الأعمال الأدبية والكتاب الجدد وتقديمها وتقديمهم بينما الحقيقة التي لا شك فيها أن



- ١١١ -

الحركة الأدبية ثرية غاية الثراء بما يكتب كبار الكتاب غنية كل الغناء  
بالأجيال الجديدة التي أصبحت اليوم مئات من القصاصيين والروائيين  
والمسرحيين والشعراء .

وبعد فليس عجبا أن تثير ذكرى الدكتور العميد كل هذه الخواطر فهو  
من يصدق عليه قول أمير الشعراء .

لم يمت من له أثر	وحياة من السير
ادعه غائبا وإن	بعدت غاية السفر
أبى الفضل كلما	أبت الشمس والقمر
إنما الميت من مشى	ميت الخبر والخبر
من إذا عاش لم يفد	وإذا مات لم يضمر

رحم الله العميد والأمير جميعا .

## أما نحن .. فلا نعجب

تقول إبنتى ما معناه

- يا أبى سمعت عن قوم يعملون اليوم عند أثرياء من دول البترول وكانوا فى مصر يحملون ألقابا ورثوها وهى ألقاب رفيعة أقصى ما تكون الرفعة سامقة أعلى ما يكون السُمُوق وكانوا يملكون أموالا . ولاشك أن المال مها يكن مصدره واللقب مها يكن موروثا خليقان أن يكسبها شيئا من الكبرياء وقد كنا نسمع أنهم كانوا متكبرين فى الأرض . وأنا يا أبى لا أعجب لهؤلاء القوم أن يعملوا لدى أصحاب الثراء فن حق كل إنسان بل من واجبه أن يبحث عن الرزق ولكن المهنة التى يمتنون خفيفة غاية الحقارة دنيئة كل الدناءة حتى أننى لا أسمح لنفسى أن أنطق بها فقلت لإبنتى :

- احمد الله يا إبنتى أن جيلك يملك ملكة التعجب والدهشة فإننا نحن جيل حرم علينا أن نعجب من شىء أو ندهش لأمر ، فقد مر بجيلنا من الأهوال ما أفقده نعمة التعجب .

وإن كنت عجبت من أمر هؤلاء فلأنك لا تعرفين أنهم قوم كانوا على قدر من الغباء لم يتح للجماعة من الناس قط . فقد سكبت عليهم مصر من نعمها ما جعلهم على قتها ثراء ومكانة وجاها وسلطانا وبدلا من أن يشكروا لها أنعمها ويندجوا بشعبها ويبدلوا من أموالهم ومن جاههم ما يعين بائسا ويكسو عريانا ويقيت جائعا وبدلا من أن يتصدروا جهات البر وجمعيات الخير طغى أغلبهم واستكبر وشغلوا بكل حقير تافه من الحياة إلا قلة منهم

كانت حيث ينبغي لها أن تكون. والشكر لهذه القلة محم لأنها أختطت في الحياة طريقا لم يسنه لها الكثرة الغالبة من أسرتها .  
أما الكثرة الغالبة. فكانت غارقة في غيبها وترفها الفارغ وكانت لا تنطق العربية وتتعلم كل اللغات إلا لغة مصر التي تعيش من جدواها ومن خيرها .  
فحين نزلت بهم الكارثة تمزقوا أشتاتا من الأدميين لا يجدون ملجأ أو ملاذا وهانوا على أنفسهم وهانوا على الناس ولاشك أنك يا ابنتي سمعتي أردد بيت المتنبي .

من يهن يسهل الهوان عليه . ما لجرح بميت ايلام  
فإن العظمة يا ابنتي والكبرياء واحترام الذات لا يكونها المال والسلطان وإنما هي تنغرس في داخل النفوس الشريفة إذا كانت لا تقدم إلا صالحا ولا تسعى إلا للخير ولا تعمل إلا كل ما هو شريف حتى يعود نفعه على المجتمع بأسره وليس على فرد ولا على أسرة فقط . فهؤلاء يا ابنتي هم عذرهم إذا هم انحدروا إلى مهاوى الخضيض فما كانوا عظماء قط وما كان انتفاخهم إلا هواء فاسدا . ومظهرها خداعا لا يقتنع به إلا من كان تافها مثلهم .  
فلا عليك يا ابنتي أن تعجبي ولكن أليس الأولى بك يا ابنتي أن تعجبي من أقوام آخرين . ألا تعجبين من قوم هبط عليهم الثراء الفاحش تصيدوه من كل طريق ملتو ومن كل مظنة عفتة حتى أصبحوا على جبل من المال وإن يكن مالا حراما . ألا تعجبين منهم بعد ذلك يظنون يجمعون المال لا يشبعون . وربما قلت يا أبي إن هؤلاء أصبح جمع المال بالنسبة إليهم غاية لا وسيلة وإنني يا ابنتي إذا قلت هذا سأوافقك عليه ولكن ألا تعجبين أنهم لا يزالون يبيعون كرامتهم بيع السمح ويقبلون أن يكونوا موطئا للتغال

ويقبلون أن يظلوا متسولين على الأبواب يسألون الرضاء أو يستجدون منصبا أو يتشممون أرجل كرسي فعل الكلاب التي لأصاحب لها .  
وان شئت يا إبنتي فاعجبي من قوم أكرمهم قومهم وجعلوا لهم في المجتمع المضرى وزنا ولكنهم يخونون قومهم ومصرهم ويتسقطون على بلاد تقف منا موقف العداء والتهجم والاستفزاز في صغار مضحك وفي طفولة تدعو إلى السخرية والهزء يتمتغون بها في كل أنحاء العالم المتحضر وغير المتحضر على السواء . الا يثير عجبك يا إبنتي أن يقصد إلى هؤلاء من تكرمهم بلادهم ليكونوا هناك يدا تتسول ولتكون البضاعة التي يبيعونها كرامة مصر وكرامة الشعب المصرى .

ألم تتعجبي يا إبنتي من أقوام يظنون يطوفون ببلاد العالم ليزدادوا على الغنى مالا هم عنه غناء . ولكن رخصت عليهم كرامتهم وهانت عليهم نفوسهم ومادامت نفوسهم قد هانت عليهم فلا شك أن مصر التي هم يتنسبون إليها شاءوا أم أبوا أكثر عليهم هوانا .

أو لم تعجبي يا إبنتي من قوم نالوا المناصب وشاركوا في المصائب التي تواجه مصر اليوم وفي الكوارث التي تحيط بشوارعها ومبانيها وتليفوناتها وكهربائها وأبعدوا عن مناصبهم فإذا السعار يتفشاهم وإذا هم يقبلون صراخا لا ينقطع وحين كان الواحد منهم ملقى على كرسيه السلطاني كالشيء لا يستطيع أن يهمس بمعارضة ولا يجرو أن يحدث نفسه بكلمة واحدة من جملة تدل على أنه لا يوافق ولكن اليوم وفي ظل الحرية ينطلق هجومه ويعلو صوته وكأنه البطل المغوار أو الأسد الرئبال ، وبماذا يطالب .. يطالب بالحرية ناسيا أنه حين يطالب بها على الملأ يعلن بما لا يدع مجالا للشك أنه في ظلها يعيش وفي أجوائها يتنفس بل ويصيح أيضا .

- ١١٥ -

وإن شئت يا إبتى فاعجبي من قوم يقوم قائمهم على إذلال الإنسان وقتل الشعوب وسفك دماءها والتسلط عليها قهرا السلاح والفتك والجبروت ولا عليك يا إبتى أن تفكرى من هم فأ يكلفك الأمر إلا نظرة إلى أفغانستان وبولندا اليوم أو نظرة أخرى إلى ما فعلوا في المجر وفي تشيكوسلوفاكيا وفي غيرها .

أعجبي هؤلاء القوم يساندون شيعتهم في مصر ويظاهرونهم بكل وسائل .. المساندة والمظاهرة ولن أفل .. ويصيح شيعتهم مطالبين بالديمقراطية والديمقراطية كما تعلمين هي حكم الشعب للشعب لمصلحة الشعب . فهم إذن يطالبون بحكم الشعب بالشعب .. وهم الذين يقتلون الشعوب لتقبل حكمهم وهم الذين يختطفون الأطفال اليوم في أفغانستان ليلقنهم إلحادهم .. وقد سمعنا عن عصابات تختطف أطفالا ولكنتك ما أظنك يا إبتى سمعت عن دولة تختطف أطفالا . شيعة هذه الدولة وأنصارها يطالبون بالديمقراطية وبالحرية ولا يجدون من يقول لهم أنهم حين يطالبون بالديمقراطية والحرية يعلنون هذه المطالبة يؤكدون دون أن يشعروا أنهم يعيشون الديمقراطية أو ما يشبهها على الأقل ويعيشون الحرية أكمل . ما تكون الحرية لأن البلاد الدكتاتورية لا تسمح طبعاً لأحد أن ينادى فيها بالديمقراطية ، وويل كل الويل لمن يطالب فيها بالحرية . وقد عشنا يا إبتى أياما سوداء لا تذكرينها أنت كانت الحرية فيها قتيلا لا يجرؤ أحد أن يذكر مقتله . وكانت . لا إله إلا الله لا تقبل إلا خفية وكأنها جريمة .

وبعد يا إبتى فما أقل هذا الذي ذكرت مما يستحق تعجبك .. أما أنا يا إبتى فكما قلت لك فقد فقدت نعمة التعجب لا أفقك الله إياها . فإن تعجبك أنت وأبناء جيلك أملنا في الغد ونظرتنا المضيئة إلى المستقبل .

## تتغير الدنيا ولا تتغير

ما أكثر ما نقرأ .... وكم نخدعنا الكلمات المطبوعة فتجعلنا نقرأ ما كان يحسن بنا ألا نقرأه .. وقد ازداد الهزال ونذر الكرم . واختلطت معاني الحياة فأصبحت الثقافة هي رقص العاريات والعلم هو دعاية الفارغين . وساد تجار الشرف وتوارى ذو الخلق الرفيع يدارى شرفه وسمو نفسه وكأنه بهما من ذوى العاهات .

عصر بنخيس مهين هو نتاج فترة رشا فيها القائمون على الأمر الجماعات كجماعات لا أفراداً أو وحداناً .

فسولوا للعاملين أن يأخذوا ولا يعطوا . ورتبوا لهم حقوقاً ولم يرتبوا عليهم واجبات وانماج ميزان الحياة . فإذا العامل في المصنع لا يعمل إلا أن يلهو واثقاً أن العلاوة ستوافيه وأن العقاب عنه قصي بعيد وتنخرب مصر ويهبط الإنتاج فيها وتلجأ الدولة إلى الضمير فلا تجده أو إلى الأمانة فتفتقدها لتفقدوها ويعلو الضجيج مع ضجيج الآلات التي لا تجد من يديرها .

ويزيد عدد المدافعين عن عدد اللاتمين في زمن الخلق الخراب والشرف المضاع .. والضمير القاتل ويبد أصحابه كان القاتل .

ويرشو عهد تلك الفترة التلاميذ فيقدم لهم التعليم المجاني بغير قيد ولا شرط وتنفق الدولة من دماء أبنائها الشرفاء ويأبى التلاميذ أن يبذلوا بعض الجهد ليردوا فضل الدولة ويرسب الطالب عاماً وعامين وثلاثة ولا يجند رادعاً ولا عقوبة فما له إذن لا يلهو ويلعب ماشاء . وماله لا ينصرف

عن المذاكرة ماحلا له المنصرف مادام واثقاً أنه في عامه القادم تلميذ  
وبمجانبة كاملة أيضاً .

وحين يصبح شريف أوقفوا هذا العبث تتعالى الصيحات في وجهه أن  
التعليم مجانى وسيظل مجانياً . حتى للطلبة العابثين الماجنين اللاهين  
اللاعبيين .. نعم حتى لهم .

فإذا قال عقلاء ليكن التعليم مجانياً للجاد من الطلبة وليس للماجن  
ارتفعت لافتة الفساد صاححة بل للجميع ، حين يقول قائل أليس هناك  
في مقابل كل حق واجب . يلفظون بما لاتفهم وهلوسون بما لاي عقل .  
ونصرنحن على القول أن المجانية للشعب أن يتعلم على شرط واحد هو أن  
يكون راغباً في التعليم لا راغباً عنه فإذا رسب الطالب مرة حرم من المجانية  
ولكن هل من مجيب .

إن الزمان زمان هو ومجون . ونرى الفن في زماننا هذا فنجد الأشعار  
بلا موسيقى ونرى الموسيقى بلا طرب ونرى الرسوم بلا معنى ونرى الكلام  
وقد فقد مقوماته وأسسها فلا الرواية رواية ولا القصة قصة ولا التمثيلية  
تمثيلية ولا المسرحية مسرحية .

ويدخل إلى الميدان من لايدرى عن أسسه شيئاً ويسقط الذوق العام  
فترى التمثيلية فإذا هي مقالة ، وترى المقالة فإذا هي عبي وبلاهة ونرى  
القصة فإذا هي حدوده ونرى الرواية فإذا هي ظلام وقنامة وانحطاط وتنشأ  
طبقة من المغنين تضج ولا تطرب وتصوت ولا تقول . ونسمع الأصوات  
فإذا الحرف لا يكتمل كلمة والكلمة لاتكتمل جملة والجملة لاتعطى معنى  
ويعم الخراب فإن فن الحياة الخراب لا بد أن يكون خراباً .

- ١١٨ -

وتصبح البلد الوحيد في العالم الذي ينال الإنسان فيه حقوقاً ولا يتحمل واجبات فيسقط معنى الحياة ويسقط معها فيها .  
وترى الرشوة وهي عماد الإقتصاد ونرى صاحب القلم وهو يبيع قلمه وهو يعلم أن من يبيع قلمه فقد باع شرفه ونرى كتاباً يتاجرون بالوطنية على شعبهم ويزايدون بادعاء البطولة على قومهم وهم يدزون أنهم لصوص يسرقون ثقة القراء بهم وربما لا يدرون أنهم بما يفعلون شر من اللص الذي قد يسرق مالا نحدود القيمة بينما ثقة الشعب لا يساويها مال في العالم واقرأ بين خرف المحرفين أنه لا بأس أن تتغير بعض القيم . شاه من قائل وشاه قوله . كيف تتغير القيم .. هيهات . فإن القيم أصبحت قيماً لأنها ثابتة لا تتغير .

فالقائل منذ قتل قابيل هاويل قاتل . واللص سارق مرفوض من كل خلق ومن كل دين والمرثني ساقط الكرامة آكل للسحت ملعون بنص كتابنا ، والسحت هو الرشوة وهو ملعون من الله والناس ، وملعون قبل الأديان . والخائن خائن وتاجر العرض في الخضيض الأسفل من المجتمع وفي الدرك الأسفل من النار . والمنافق إنسان رخيص باع انسانيته باختياره فصار شراً من الحيوان .

والشريف يظل شريفاً والنبيلا يظل نبيلاً ويظل السامق سامقاً .

ومرفوض قول القائل ترك الماضي ، فإن فترة الطغيان هي التي حطمت هذه القيم وقد نصلح ما خرب وذر من وسائل الحياة ولكن هيهات أن نقيم ما تفسخ من قيمنا واضمححل إلا إذا أدركنا إدراك يقين لاشك فيه أن



- ١١٩ -

القيم ثابتة وأنه لا يجوز لها ولا يعقل أحد أن يتغير منها شيء ، ولا بد أن نعرف المائل حتى نقيم مائله وأن نستوثق من المعوج حتى نقوم عوجه . ولا يقولن قائل أن كل ماضٍ فات ، فلا هو من الماضي ولا هو قد فات فهو سوليني مازال يلقي بظله على إيطاليا حتى اليوم وهتلر مازال تخريبه للألمانيا مائلاً في تقسيمه لشعبها إلى دولتين تشقى كل منهما بما جلبه عليهما . وشاه إيران هو مصدر ما تلاقيه إيران من دمار . وقد شبقينا بفاروق ولا نستطيع أن نقول عنه أنه ماضٍ ولا من جاء بعده يعتبر ماضياً .

فالتاريخ حلقات مترابطة متصلة لا تنفصل حلقة منه عن حلقة . والذي نشهده اليوم من فساد ضماير وفساد ذمم وانحطاط بشرى هو بعض آثار الأيام القريبة التي رابت علينا بالطغيان . والرئيس الحالي من أشرف من عرفت خلقاً ومقصداً وهو بهذا الشرف في الخلق والمقصد يريد أن يعيد إلى مصر وجهها المشرف النبيل . ومن كان مثله شريفاً يكون ضيقه بالانحطاط مضاعفاً ألف ضعف . وهو يعلم علم يقين أنه لا بد أن تعود مصر القيم التي نشأ في ظلها وهو يعلم علم اليقين أن القيم ثابتة ثبوت الأزل - قط لم تتغير وأبداً لن تتغير . وأنه قد تتغير العوايد والتقاليد والمظاهر أما القيم فهي أشد ثبوتاً من أغنى الجبال تتغير الدنيا ولا تتغير .

## وأن خالها تخفى

وقف القلم طويلاً قبل أن أبدأ هذا المقال ، فأنا أبحث عن تعريف يحدد الزمان الذى أريد أن أروى منه هذه القصة إليك فهو فى زمان كان فيه الآدميون سلعة تباع وتشتري وكانت السلعة تسمى العبيد فإذا ترائى أقول لأمر هذا الزمان عن غيره ، هل يصلح لى أن أقول زمن العبيد والسادة هيهات فإن هذا التعريف يجعل الزمان يختلط بكل الأزمنة ويقع القارئ فى متاهة من التاريخ ولا يستطيع أن يتعرف على الزمان الذى أقصد إليه .

فكل الأزمنة كان فيها عبيداً وكان فيها عبودية ، وإن كان العبيد فى الزمان الماضى يباعون ويشترىون بالمال الصريح فكهم شهدنا من عهود كان الإنسان فيها يباع بالوظيفة أو بالجنس أو بالمال وإن كان الزمان الماضى يقر البيع بين المتعاقدين بإيجاب من البائع وقبول من المشتري ، فلكن شهدنا البائع هو البضاعة ذاتها فباع الناس أنفسهم للسلطان أو للشيطان أو للمرأة أو للرجة أو لهوان نفس أو لضعة قصد أو لسقوط مروءة ، وكان بائعو أنفسهم ولا يزالون يجدون المشتري حاضراً من قريب .

وما أحسبك تلح على أقدم إليك الأمثلة ، فالأمثلة تطالعك كل يوم فى كتاب يبيعون أنفسهم وأوطانهم إلى من يشتري فى سوق النخاسة الأدبية التى اتسع واستفحل أمره وأصبح المشترون فيها دولا يمثلها رؤساء مخاريق وجدوا من يقول لهم أن من يبيع نفسه يبيع وطنه فألقوا بأموال شعوبهم فى السوق واشتروا الأقلام ، وأصبحت سوق العبيد حقيقة قائمة

لا يحكمها قانون إلا الحيانة ولا تضبطها قاعدة إلا الوضاعة من بائع نفسه والمشتري جميعاً .

وكان العبيد في ظلمة الحياة يباعون ويشترون بقوانين معلنة وضوابط واضحة ، فهل تحضر الزمان أم تأخر ، وهل ارتفعت قيمة الإنسان أم تدهورت .

وبعد فما زلت حائراً كيف أبدأ رواية قصتي إليك ، فلأقل إذن في ذلك الزمان الذي كانت فيه تجارة العبيد معلنة غير مستترة مشهورة غير مخبوءة كان هناك عبد يتوق إلى الحرية ، وكان يعرف أن سيده رجل صالح يقيم الصلاة ويأتى الزكاة ، وكان هذا السيد معجباً بخطيب يخطب الجمعة فكان حريصاً كل الحرص على أن يصلى كل أسبوع في المسجد الذي يخطب فيه هذا الخطيب ، فقصد العبد إلى الخطيب يرجوه أن يجعل خطبة الجمعة عن وجوب إعتاق العبيد وأن يذكر الناس بقوله تعالى في سورة البلد « فلا اقتحم العقبة ، وما أدراك ما العقبة ، فك رقة » ووعده الخطيب أن يستجيب لرجاء العبد المشوق إلى الحرية .

وانتظر العبد ومرت الأسابيع والخطيب يخطب في كل جمعة ولكنه لا ينى بوعده ويعجب العبد ، فهو يعرف هذا الرجل ، ويعلم عنه أنه لا يعد إلا أنجز فما ماله في هذه المرة يخلف وعده وينكص عنه .

وفي أحد الجمع خطب الخطيب فإذا خطبته كلها عن كرامة الإنسان وعن كراهية الله للاستعباد وراح يقرأ بين المصلين كل ما جاء في القرآن الكريم من حث للمؤمنين أن يعتقوا عبيدهم وأن يقتربوا إلى الذات العلية بفك الرقاب .

وفي نفس اليوم أطلق السيد العبد وفك عنه أسر العبودية ، وقصد العبد إلى الشيخ .

- ١٢٢ -

- شكرا الله لك أيها الرجل الصالح .
- إنما أديت واجبي يا بني .
- وأوفيت بعهديك أيضا ..
- إن العهد كان مسئولا يا بني .
- ولكنك يامولاي تراخيت في إنجاز وعدك وماعهدتك كذلك .
- يعلم الله وحده سبب هذا التراخي .
- ألا يجوز لي أن أعلمه أنا أيضا .
- لا بأس يا بني . أنك حين طلبت إليّ ذلك لم أكن أملك شيئا من المال فانتظرت حتى جمعت من المال ما يكفي لشراء عبد فاشتريته ثم أطلقته وحين فعلت وجدت من حقّي أن أعطى الناس بفك رقاب الناس ، لأن البواعظ لا يسمع قوله إذا لم يعط المثل من نفسه ولو كنت ألقى خطبتي هذه دون أن أصنع ما صنعت ما استجاب لي سيدك السابق ولا استجاب لي غيره ، فالكلمة تحمل قيمتها إذا صدرت عن شخص يعمل بها قبل الآخرين ويجعل من نفسه المثل الذي به يتأسى السامعون ، وحينئذ .. وحينئذ فقط تقع الكلمة في موقعها وتبلغ من السامع حيث يريد لها أن تبلغ .
- وكانت الحجة قاطعة. وكرر الحر الشكر وانصرف عن الخطيب هائلا سعيدا .

وأنا اليوم أذكر هذه القصة وقد طالعتها منذ قريب في أحد الكتب لأنعم النظر في مضطرب الحياة ، فأجد الداعين إلى الشرف هم أكثر الناس فجورا ، والمتشددين بالأمانة هم أعظم الناس خيانة ، والمتربعين على دست النصيحة هم أكثر الناس حاجة للنصيحة. فلا عجب إذن أن يذهب

- ١٢٣ -

كلامهم هباء من الهباء ، وكيف يسوغ عند الناس أن يروا المتحدث عن  
التقشف هو أكثر الناس ثراء .. جمع أمواله من الدول التي استأجرته  
ليهاجم مصر وحكام مصر حتى إذا نال من المال ما يكفي أحفاد أحفاد  
أحفاده قدم إلى مصر يصيح في الناس أن اكتفوا بالقليل واقفلوا الإفتاح  
وعودوا إلى الإنغلاق .

وكيف يسوغ عند الناس أن يروا المسئول يخطب في كل يوم عن  
الأمانة والشرف والاستقامة وهم يعلمون عنه أنه لص خائن للأمانة مضيع  
للشرف لا استقامة له إلا إذا قصد إلى السرقة والإغتصاب والنهب فإنه  
حيثئذ يعرف الطريق إليها حق المعرفة .

وكيف يسوغ عند الناس أن يتكلم قوم عن حق الله وهم ملحدون لا  
يعترفون بالله ولا بالأديان ولا بالروح فالعالم كله مادة والمادة هي أصل  
الكون .

وكيف يسوغ عند الناس أن يدعى قوم الجرأة والبطولة اليوم والحرية  
متاحة والدار أمان والحكم شعاره القانون وقد رأيناهم يعفرون رؤوسهم  
على أعتاب الطغيان ويمتدحون بالظلم ويشيدون بالجبروت ثم هم اليوم  
يهاجمون الحرية وينتهزون منها فرصة ليظهروا أنفسهم في صورة الأبطال  
ويبيعون هجومهم إلى الجرائد التي تطيع خارج مصر والتي تريد أن يزداد  
توزيعها بالهجوم على كبرى الدول العربية ..

وما زيادة التوزيع لشراء من الجمهور وإنما لشراء من الدول  
إن جميع هؤلاء وأمثالهم يحسبون أنهم قادرون أن يخفوا حقائقهم على  
الشعب وليس يعينهم قول زهير بن أبي سلمى .

ومهما تكن عند امرئ خليفه وإن خالها تخفى على الناس تعلم

## إسلام وشيوعية : لا يلتقيان

إقرأ بإعجاب الفصول التى ينشرها الكاتب الكبير الأستاذ عبد الرحمن الشرقاوى بجريدة الأهرام بعنوان ، على إمام المتقين . وقد ظلت على إعجابى بها حتى جاءنى هنا فى لوزان أهرام الأربعاء ٧ سبتمبر المنشور به الفصل الثامن من البحث وجدت المقال يتعارض بعض منه مع الجزء الأكبر من آخرة وعبد الرحمن الشرقاوى من الكتاب الذين أكن لهم كل تقدير وإكبار وتجمعى وإياه - والحمد لله - ضلة من أقوى صلات الصداقة وأعمقها ومن حق هذه الصداقه على أن يكون الحق هو عمادها لا المجاملة فإن الصداقه من مادة الصدق والذى لا يصدق صديقه عدو وحق الله أولى الحقوق بالرعاية لا يسبقه حق فى الوجود .

يقول الأستاذ عبد الرحمن فى منتصف المقال تقريباً . وقال على أنه لا بأس بالغنى والتمتع بزينة الحياة التى أخرج لعباده والصيبات من الرزق التى أحلها الله لا بأس بهذا كله . ومن حرم ما أحل الله فهو إثم كمن أحل ما حرمه الله ولكن هذا المال يجب لكى يكون حلالاً أن يتوافر له أول الأمر أن يكسبه صاحبه بعمله وبلائه وجهده لا أن يكون منحة من ولى الأمر لقربه أو مودة أو نحو ذلك أن القرآن الكريم يفسر بعضه البعض وحين قال تعالى . والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق قال فى الوقت نفسه . وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً درجات منه ومغفرة ورحمة وقال « وأن ليس للإنسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الأوفى وإذن فحق الملك قائم فى أصله على العمل على

ما يكسبه الإنسان بعمله ومن هنا يحفظه الله تعالى فيحميه من السرقة ويكفل الميراث .

إلى هنا ينتهى كلام الأستاذ الشرقاوى الذى لا أخالفه فى مضمونه وإن كنت أتشكك فى تفسير الآية الكريمة . وفضل الله المجاهدين . إلى آخر الآية فما أحسب أن التفاسير ذهبت إلى أن هذا التفضيل يكون فى الرزق فى الحياة الدنيا وإنما هى الدرجات التى أعدها سبحانه فى الباقية الخالدة وكذلك أخالفه فى تفسير الآية أن ليس للإنسان إلا ما سعى إلى آخر الآية . واعتقد اعتقاداً راسخاً أن المقصود من الآية أن ليس للإنسان إلى ما سعى فلا ينال عند الله أجر فضل لم يحم به تمشياً مع قوله تعالى « وكل إنسان ألزمناه طائره فى عنقه » وقوله « يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم » ومع كثير جداً من الآيات التى تقرر أن الإنسان مسئول عن عمله أياً ما كان الأمر فهذا هو الجزء الذى لا يمكن أن يختلف فيه مسلم مع الأستاذ الشرقاوى وهو بهذا الجزء يقرر أن التملك حلال مادام ليس منحه من ولى الأمر وأن الله يحمى هذا التملك وينظم توريثه .

ولكن قليلاً ما نمضى فى المقال فإذا نحن نجد المالكين جميعاً مصيرهم جهنهم والنار والكى بالذهب والفضة وإليك ما يقول الأستاذ الشرقاوى وأن علياً ليدكر عثمان بأيام عمر وبما اتفقوا عليه جميعاً بأن يعيد عمر توزيع الثروة حين راعهم إنتشار الفقر على الرغم من تكدس ثروات الناس « مانسى أحد بعد من الصحابه واقتناع عمر وعثمان يقول على أنه ما من أحد يبخن فوق حاجته إلا حرم آخرين من ذوى الحاجة وأن علياً ليدكر عثمان بعهد عمر والله لئن بقيت إلى الحول لا لحق أسفل الناس بأعلامهم لو استقبلت من أمرى ما استدبرت لأخذت فضول الأغنياء فرددتها على الفقراء .

وإني أسأل الأستاذ عبد الرحمن أى المال الذى يريد أن يتصرف به عمر هذا التصرف إن كان مال الجماعة فهذا حقه إما أن كان مال الأفراد فهيات أن يقول عمر هذا القول أو يقوله على وإلا لما احتاج ماركس أن ينشئ نظريته الشيوعية واكتفى برأى عمر هذا وعلى وإن كان هذا رأى عمر وقد صحب النبي عليه الصلاة والسلام قرابة عشرين عاماً وكان مع أبي بكر فى عامي خلافته ثم كان هو أمير المؤمنين لمدة تسع سنوات فما له إذن لم يشر بهذا الرأى وهو يشير وما له لم ينفذه وهو أمير المؤمنين . وكيف يقصد عمر مال الناس بهذا الرأى كما يوحى بذلك أنخى الأستاذ الشرقاوى وهو من شهد خطبة الوداع والنبي ﷺ يقول « إن دماءكم وأموالكم حرام بينكم » وكيف يلقى عمر ربه وما عزف التاريخ بعد النبي خائفاً من ربه كما كان يخاف عمر والله سبحانه هو القائل « أ هم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً » وماذا هو قاتل فى الآيات ترى جميعاً بمعنى « ييسط الله الرزق لمن يشاء ويقدر » أى يجعله مقدوراً قليلاً .

ويوغل الأستاذ عبد الرحمن حين يقترب من النهاية فى هذا الفصل فيذكر ما يلغى به كل ما جاء من قبل فى هذه الحلقة من شرعية التملك والميراث يقول على لسان على فيما أظن ثم أن الاقتناء مباح وهو غير مذموم إن لم تكن هناك حاجات تُسد أما إن كانت هناك حاجة لأحد فلما يحق لمسلم أن يقتنى فوق حاجته ولو ديناراً ولقد مات رجل فى زمن الرسول حيث كان فى الأمة كثيرون من أصحاب الحاجات والجياع فوجد فى مئزر الرجل ديناراً فقال رسول الله عنه أنه كانز وشيكوى بهذا



الدينارية واحدة ووجد في مئزر آخر دينارين فقال ﷺ هما كيتان .  
وذكر قبل ذلك حديثاً للنبي على رواية علي أيضاً من ترك صفراء أو  
بيضاء كوى بها وكان يعنى من كثر وترك مالا وفي الأمة أصحاب حاجة  
مسلمين كانوا أم ذميين .

ويذكر قبل ذلك أن النبي سئل « أى مال تتخذ يا رسول الله قال لسانا  
ذاكراً وقلباً خاشعاً وزوجة تعين أحدكم على دينه » .

وإلى هنا وتقف ماهذا يا أخانا هل ألغى النبي عليه الصلاة والسلام  
الميراث دون أن ندرى ودون أن يتنبه إلى ذلك كل المسلمين حتى الأئمة  
الذين ألفت عنهم كتاباً من أحسن كتبك وقيم أتعب إذن ماركس نفسه وما  
كان عليه إلا أن يعلن إسلامه ويرفع هذه الأحاديث شعاراً دون أن يقتل  
ما قتل من أمثال الملايين في سبيل مذهبه .

إذن يا أستاذ عبد الرحمن قآيات الموازيث جميعها المقصود بها أن  
تقسم بين الورثة لساناً ذاكر وقلباً خاشعاً وزوجه تعين أحدنا على دينه  
وكيف يقسم هؤلاء وبعد هذا فن ترك صفراء أو بيضاء كوى بها فإن كان  
فدانا قوم بمائة دينار ذهباً أيكوى به وكانز الدينار له كية وكانز الدينارين له  
كيتان فما هو مصير عبد الرحمن بن عوف الذي ترك جبالا من الذهب  
قطعت بالفؤوس ووزعت على أبنائه وهم أحد عشر ابناً فأصبح كل منهم  
أغنى أغنياء العرب وقد بشر النبي عليه الصلاة والسلام عبد الرحمن  
بن عوف بالجنة والنبي كما جاء في القرآن ليس إلا بشراً رسولا فهو لم يبشر  
ابن عوف إلا بما أوحى به الله والله كان يعلم اللحظة التي سيموت فيها  
عبد الرحمن ويعلم أنه سيترك هذا الذهب وبشره بالجنة أفيكوى

عبد الرحمن ابن عوف بكل هذا ؟ فما اللجنة إذن ؟ أنه لن يراها ولن يعرفها .

إذن فلا ميراث أو يكون المسلمون جميعاً والذميون أيضاً في اكتفاء وفي غير حاجة إذن يعطى الإنسان كل ماله للدولة ويترك أبنائه جوعاً يتكفون الناس وكان بيده أن يحصى ماء وجوههم في أى شرع هذا وفي أى دين وفي أى مله ولماذا إذن رفض ماركس الأديان وسماها أفيون الشعوب وما أحسب أنه فعل ذلك إلا ناظراً أكبر النظر إلى الدين الإسلامى فهو أعظم الأديان عناية بالميراث . وبحق الإنسان في ماله .

وفي أى عصر وفي أى زمن اكتفى الناس جميعاً وفي أى دولة ما أحسب أن هذا حدث قط . وما أحسب أنه سيحدث أبداً إذن فلا ميراث إلا أن يكون الميراث لساناً ذا كراً وقلباً خاشعاً وزوجة تعين . أحدنا على دينه ومع ذلك فأنت تعلم أن فاطمة البتول ابنة سيدنا النبي طالبت أبا بكر بقطعة أرض . كان النبي قد أمر لها بربعها وهى زوجة على وبنت خير المرسلين .

أكانت الأمة في ذلك الحين جميعها مكتفيه ولم يكن مسلم ولا ذمى فيها محتاجا .

بعض هذا ياخى بعض هذا فأننى والله أعرف عنك أنك مسلم صادق الإسلام وأنت تحاول بإخلاص أن تقرب المذهب الشيعى إلى الإسلام هيهات يا صاحبي لا يلتقيان وأن إمام المتقين لو شهد ما تقوله على لسانه اليوم لسألك في بساطه ويسر ولماذا لم أصنع أنا هذا حين وليت الخلافه . أما كان أيسر عليه أن يلغى الميراث بموجب هذه الأحاديث النبوية ولا يكلفك مشقه هذا الاجتهاد .

وبعد فقد رجعت إلى تفسير الكشف للزخشرى لأستين الرأى فى الآيه الكريمة ، والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكتزون . فوجدت الأستاذ عبد الرحمن نقل عن الزخشرى ولكنه نقل ما يؤيد رأيه وألغى تماماً ما ينسف رأيه نفساً كاملاً ولا أكتمك لقد عجبت ولهذا فإثنى سائقل إليك مادة الزخشرى كامله وأن فيها غناء كل الغناء عن أى رأى يقول الزخشرى فى تفسير هذه الآيه الكريمة .

قليل نسخت الزكاة آيه الكثر وقيل هى ثابتة وإنما عنى يترك الإلفاق فى سبيل الله منع الزكاة وعن النبى ﷺ ما أدى زكاته فليس يكثر وإن كان باطناً وما بلغ أن يزكى ولم يزك فهو كثر وإن كان ظاهراً وعن ابن عمر رضى الله عنه كل ما أديت زكاته فليس بكثر وإن كان تحت سبع أراضين وما لم يؤد زكاته فهو الذى ذكر الله تعالى وإن كان على ظهر الأرض فإن قلت ما صنع بما روى سالم بن الجعد أنها لما نزلت قال رسول الله ﷺ ( تبا للذهب تبا للفضة قالها ثلاثاً فقالوا أى مال نتخذ قال لساناً ذاكراً وقلباً خاشعاً وزوجة تعين أحدكم على دينه ويقول عليه الصلاة والسلام من ترك صفراء أو بيضاء كوى بها وتوفى رجل فوجد فى مئزره دينار فقال رسول الله ﷺ ( كية وتوفى آخر فوجد فى مئزره ديناران فقال كيان قلت كان هذا قبل أن تفرض الزكاة فأما بعد فرض الزكاة فالله أعدل وأكرم من أن يجمع عبده مالا من حيث إذن له فيه ويؤدى عليه ما أوجب عليه فيه ثم يعاقبه ولقد كان كثير من الصحابة كعبد الرحمن بن عوف وطلحة بن عبيد الله ( وكلاهما من المبشرين بالجنة ) وعبيد الله رضى الله عنهم يقتنون الأموال

ويتصرفون فيها وما عيهم أحد ممن أعرض القنية لأن الإيعراض اختيار  
للأفضل وإلا دخل في الورع والزهد عن الدنيا والإقتناء مباح موسع لا يذم  
صاحبه ولكل حد وماروى عن على أربعة آلاف فما دونه نفقة فما زاد فهو  
كثر كلام في الأفضل .

وإلى هنا ينتهى كلام الزمخشري وبهذا يستقيم في العقل كل الذى  
استشهد به الأستاذ عبد الرحمن الشرقاوى ولو أنه نقل الرأى جميعاً دون  
أن يحجب أهم ما فيه وهو ما يصل بين هذا الرأى وبين الدين جميعاً لما  
استولت الدهشة على أذهان الناس فإن رأى الأستاذ الشرقاوى يجعل كل  
صاحب دينار كافراً ورأى الزمخشري الذى نقل عنه الأستاذ الشرقاوى أن  
كل اكتناز مهما بلغ حلال مادامت الزكاة قد أديت عنه وهو الفرق نفسه  
بين الإسلام والشيعية فالطريقان شتى متباعدان متنافران لا يلتقيان أبداً  
الدهر .

وبعد يا أخى. الأعز فأنا أعرف قوة إيمانك وأنتك مستمسك بدينك  
فبربك يا أخى الأعز ألا أعدت النظر فى رأيك الآخر فهيهات لرأيك هذا أن  
يستقر أمناً أو قلقاً فى نفس مسلم أبداً. وفقك الله .

## تعقيب على رد

توقعت أن يرد الأستاذ الأخ عبد الرحمن الشرقاوي على المقال الذي نشرته الأسبوع الماضي معلقاً على أحد فصوله ، عن علي إمام المتقين ، وتوقعت أيضاً أن يكون رده بهذا الأدب الرفيع وهذا الخلق الأسيمالذي له أعرفه غير.

وبقي أن أعقب على رده وأبدأ بأني ما إلى السخرية قصدت وحاشاي أن أفعل وإنما هدفت إلى أن أبين انتقاء ما استشهد به منع ما أنزله الله على رسول فيما يتصل بالمال بعد الأحاديث التي ساقها الأستاذ عبد الرحمن مؤيداً بها وجهة نظره وما أحسب الأستاذ الشرقاوي ألا يعلم أنني خريص على العدل الإجتماعي حين يتمثل في أن تضيق الفوارق بين الطبقات وفي أن يتصدق الغني على الفقير يوازع من نفسه وأرفض في الوقت ذاته أن تستولى الدولة على كل مال يغل ريعاً للناس فيتأدى بنا الأمر إلى ما نتأدى إليه في البلاد الشيوعية وفارق كبير بين أن تندب الناس للصدقة وتختم عليها ليقدموها بمحض اختيارهم وبين أن تفرض عليهم الفقر فينكشف غبار المعركة عن مجتمع كله فقير معدم بدلا من مجتمع يسوده الرحمة والتواد والتعاطف والحب فإن الناس إذا أصبحوا جميعاً فقراء سادت بينهم شريعة الغاب التي نراها سائدة في البلاد الشيوعية.

وأنا أيها الصديق الأعز والذي سنيظل دائماً صديقاً الأعز معجباً بنظام الضرائب التصاعدية وأحبها وأراها من أصلاح الأنظمة الاقتصادية لمواجهة عصرنا هذا فلا خلاف بيننا في هذا الشأن .

أما الآيات التي استشهدت بها فهي هي ما قصدت أنا إليه ولا أتصور الحياة بغيرها وهل يمكن أن يدعو الرحمن لغير هذا وكيف نتوهم أن يوصي

- ١٣٢ -

الله عباده بوصاة خيراً من أن يكون في أموال الأغنياء حق معلوم للسائل والمحروم وهو الذى بسط الرزق لهم وقدره على غيرهم .

وما استشهدت به من أحاديث أيضاً لا خلاف عليه وهل يمكن أن يكون هناك خلاف بيني وأنا من تعرف من دخائله مألعله يحمله عن نفسه - وبينك في أنه لا يجوز أن يبيت إنسان على شبع وهو يعلم أن جاره جائع أما ما سقته عن رأى عثمان من أن الزكاة تكنى فإننى أرى أنها من ناحية الوجوب كافية ولكنها من الناحية الإنسانية أقل من الكفاية وما أحسب أن هناك خلافاً على هذا .

أما أن الحاجة فينبغى ألا تزيد عما يكفى الأهل والأولاد في حياة عائلهم فقط فهنا اختلاف معك خلافاً لا محيد عنه فإنه إذا استقر الأمر على ذلك انتفى الميراث وعدنا إلى التناقض مرة أخرى فإنه إذا صح أنه لا ينبغى للإنسان أن يدخر لأبنائه ما يقيم شرب الحاجة من بعده ويجعلهم في غنى عن الاستجداء ينتفى الميراث إنتقاء تاماً وأنت ياسيدى تقول في صدر مقالك أنا لا خلاف حول الميراث فكيف يكون هذا إذا كنت لن أبقى لهم من باقية إلا ما أنفقه عليهم في حياتي وماذا سيرثون إذن .

أما استشهادك بأبى بكر فاستشهاد بشخصية من قم التاريخ والإنسانية وما أظن أن مثله يمكن أن يكون كسائر البشر وأن ما صنعه خاص به وحده وهو صديق النبي وصفيه وثاني اثنين إذ هما في الغار ، أما ياسيدى ما ذكرته عن بكاء عبد الرحمن ابن عوف حين اقترب الموت فاسمح لى أن أعجب منه فقد كان يستطيع بكل بساطة أن يمنح ماله كله لبيت المال ويكف عن البكاء أما أن يبكى ويبقى على ماله لأبنائه فتصرف يدعو إلى الدهشة .

أما ما ذكرته عن مجتمع التراحم فإنى واثق أنك لا يمكن أن تتصوره

بقهر الناس وإرغامهم على ما لم يشرعه الله وإن كان هذا رأى بعض الفقهاء فلاشك أن هناك آراء أخرى أكثر قوة تجعل الصدقة بعد الزكاة مندوبة مستحبة وليست حتمية مفروضة كما تريد أن تؤكد وأن ماسار عليه المسلمون لألف وأربعمائة عام لدليل على صدق ما أذهب إليه .  
أما ما تقوله عن الدول الغنية والدول الفقيرة فإننى لا أتصور الحياة حياة شريفة إلا بما ترى أنت فى هذا المضمار .

وأما ما ذكرته عن عمر بن عبد العزيز فهو دليل لى وليس على فقد أخذ عمر المال ممن كانوا قد انتهوه ولم يكن لهم بحق ورده إلى أصحابه الشرعيين ورد إلى بيت المال ما لم يجد له صاحباً على قيد الحياة وهذا أمر يتحتم على ولى الأمر وجوباً وليس مجرد حق له وإذا هو لم يفعله ونكص عنه وقع عليه التقصير .

وبعد يا أخى فإن ما ذكرته عن حسن ظنك بى هو وأكثر منه علمى بك ولولا خشيتى أن يقال أننا انتهزنا الفرصة لتقارض الشناء لذكرت كل ما أكنه لك من حب وتقدير وإعجاب .

على أن رأيك هذا إذا أخذت به دولة إسلامية ما فإنها لن تطبقه إلا مرة واحدة فى عام واحد أما العام التالى فإنها بإذن واحد أحد لن تجد عند أى فرد من رعاياها ما يستحق أن يدفع عنه الزكاة وما دامت الزكاة قد سقطت فإن الصدقة أيضاً تسقط من باب أولى وإنك يا أخى لو أعملت الرأى فيما تقول لوجدت أنك به لا تلغى الميراث وحده وإنما تلغى الزكاة أيضاً وألا فعلى أى مال سيزكى المواطن فى عامه التالى مادام قد دفع بماله الفائض جميعاً إلى الدولة فى عامه الفائت ، أنه سيكون مستحقاً للمال الزكاة ولن يجده أو لمن يتصدق عليه وهيئات أن يعثر على متصدق أو صدقة .

## أيها التاريخ توقب

سبحانه جل وعلا . له عند اليأس يد لطف ترد اليأس إلى أمل وتحيل  
ظلام القنوط إلى إشراقة فرجة . وهو سبحانه وتعالى من يقول : ألم نشرح  
لك صدرك ، ووضعنا عنك وزرك الذي أنقض ظهرك ورفعنا لك ذكرك .  
فإن مع العسر يسراً . إن مع العسر يسراً فإذا فرغت فانصب وإلى ربك  
فارغب .

ويكرر سبحانه وتعالى إن مع العسر يسراً مرتين في بلاغة معجزة لا  
يصل إليها إلا باري النفوس . العالم بمدخلها الخبيثة والخير بأين تستقر  
الكلمة في الضائر وهو سبحانه حين يقول هذا لئيبه عليه الصلاة والسلام  
لا يقصر قوله عليه وحده وإنما هو مخاطب الناس كافة والتاريخ بأسره .  
فكل إنسان أنقض ظهره الوزر يضع الله عنه وزره . إيمان يملأ صدره  
بلطف الله العلي القدير ثم هو سبحانه يرفع له ذكره ويؤيده بالقول الثابت  
إن مع العسر يسراً إن مع العسر يسراً . فامض في غايتك أيها العبد المؤمن  
وارغب إلى ربك الذي وضع عنك وزرك ورفع لك ذكرك وهياً لك بعد  
العسر يسراً لأن الله سبحانه يتبع عسر المؤمن بيسر من لدنه تقدست  
مشيئته .

وقد مرت مصر بعصر أي عسر وتعرض شبابنا لفترة من أحلك فترات  
التاريخ وقد استقبلوها في مشارق أعمارهم وفي غصارة حياتهم والعبد أن  
منهم كانت لا تزال خضرا غضة . فوضعوا كل ثقتهم في جماعة لا تستحق  
هذه الثقة ، وفجأة تفجرت الحقيقة على نفوسهم الشابة المفعمة بالأمل



المتربة بالوثوق فيمن أسلموهم قيادهم عن إقتناع وخبره . وقد كانوا قد ضربوا صفحا وأغلقوا أذنا عن كل ما كان يتناقله آباؤهم وإخوانهم الذين يكبرونهم عما يرتكبه العهد من آثام تبدأ بالإعتداء على الأعراض وتنتهى بالإعتداء على الحياة بإزهاقها . وكانو قد ضربوا صفحا وأغلقوا أذنا وعينا عن الرعب الذى تفشى وجه مصر جميعا مقتنعين فى حماسة الشباب أن كل هذا يهون فى سبيل مصر ، فقد كانوا يظنون أن ما كان العهد يقترفه كان من أجل مصر وليس من أجل الاستيلاء على مصر والإلقاء بها ورقة مراهنه لاصطياد الأبحاد الفردية وإقامة امبراطورية لشخص فى زمان اندثرت فيه الإمبراطوريات حتى اذا رأى الشباب مصر وقد صرعت كرامتها فى عام ٦٧ أفاقوا إلى صراح الحق . ورفضوا من بعد أن يضربوا صفحا أو يغلقوا أذنا أو يغضوا عينا وهالتهم - كان الله لهم - تلك الهوة السحيقة بين ما اقتنعوا به وبين ما طالعتهم به الحقيقة التى ترفض المناقشة وانماعت أمامهم وجوه الحياة وغامست فى أعينهم مسالك الطريق وراخوا ينعمون النظر فإذا دينهم قد ضاع فى غمرة الإلحاد . ووطنهم قد تلاشى فى تقديس الأفراد ، وقيمهم قد انهارت فى حماة الشعارات ، وإذا الفراغ يطل عليهم من وراء اللافئات وكفروا بما وقع عليهم من أقوال يردد أن الولاء سابق على الكفاءة ، والولاء هنا لغة كاذبة يعنى فى صريحها النفاق ، فمن شاء أن يصحح الكذب بالصدق فعليه أن يقول النفاق قبل الكفاءة أو الوطنية أو الإيمان بالله أو بالحرية أو بالكرامة الإنسان .

هكذا تصدعت قلوبنا نحن الآباء والأخوة الكبار على شباب هذا الجيل المصرى وحسبنا أنه تاه عن مصريته وضل السبيل عن ربه وفقد

الإلتناء لقيمه الأصيلة وما كان لا يعرف الإيمان بالله والحب للوطن أن يكون منتما .

وازددنا جزعاً ونحن نرى الدين يصبح عند بعض منهم سلماً يصطنعونه إلى مغامر دنيوية وطريقاً يزيفونه ليستولوا به على الحكم ، ورأينا فئات منهم تغلوا في دينها غلواً ينأى بها عن الدين في جوهره وروحه ويدنو بهم إلى مظهر لا يغنى إلا الفراغ من لحية تطلق أو جلباب أصبح كأستار مسرح للمضحكات التي لا جد فيها ولا عمق . ويزداد بنا الجزع ويبلغ أقصى مداه في نفوسنا حين نرى فئة أخرى منهم يخذعها الشيوعيون عن أديانهم وعن عرويتهم ليقذفوا بهم إلى متاهات ماركس ولينين وإلى مذابح ستالين وماو .

ولكن الله سبحانه وتعالى يمد من فوق سبع سماوات يده باللطف الرباني فيرفع عنا وعنهم وزرنا ووزرهم الذي أنقض ظهورنا وظهورهم ويرفع بذكر مصر وذكرهم . ونلتف فجأة فنجد مصر على حقيقتها تتوج بالحياة في نفوس الأصلاء من شبابنا . أولئك الذين لا تعرف الأرض مفرقهم إلا مصلين ، فهم شم الأنوف عامرة أفندتهم بالإيمان برب العالمين مخضلة جنبات جوائهم بحب مصرهم العالية فإذا هم يزحفون زرافات ووجدانا إلى قلعة صلاح الدين ومسجد محمد علي ليعيدوا إليها وإليه رونق مصر وجلال الإيمان .

إن الشباب الذي عمل في صمت ولكن في عزم يعيد الزخرف إلى الآثار التي هدمت والمتاحف التي احترقت وإلى المساجد التي دمرت أن يعيد بشبابه الشباب إلى مصر ، ويجال روحه الجمال إلى وجه مصر . ويعزمه الفتوة إلى عزمات مصر ، وبقته الريادة إلى فن مصر . أراد الشباب وفعل .

إذن فذاك هو الشباب الذى أحزننا بعض منه بمظهره ، ها هو ذا يتكشف لنا عن أصوله ويزيح عن حقيقته الباذخه ما الصقة بها التافهون منهم والضائعون والمضيعون .

هذا الشباب الذى وقف الأيام الطوال والشهور المتلاحقة على الهواء ليزيح عن آثار مصر ما أفسدته أزمان مقيته ، أزاح فى ذات الوقت عن نفسه سوء الظن به الذى رماه عليه فئة منه قليلة قلة الاستثناء الذى يؤكد القاعدة والقاعدة هنا عملاقة تقف رؤوسها عالية مع المآذن التى عاد إليها الله أكبر الله أكبر ولا إله إلا الله . ومحمد رسول الله .

إن هذا الشباب هو مصر القادمة . فأصبح أيها التاريخ أن مصر المؤمنة بالله وبالشرف وبالحق والحرية قادمة إلينا فى الطريق وقد بدت منها الطلائع كإشراقة فجر فى يوم ربيع .

إن هذا الشباب الذى عرف الله والوطن والجمال لن يعرف الرشوة الكافرة ولا التجارة الشائنة ولا الخنوع القليل . أنه غد مصر أيها التاريخ ... فترقب .. أنه كلمة الله ووعد الحق ، إن بعد العسريسرا . إن بعد العسريسرا .. إن بعد العسريسرا .. فاللهم شكراً لك على ما شرحت من صدورنا وما وضعت من أحمالنا . وما رفعت من ذكرنا واللهم غفرانك لنا حين تولانا اليأس فى عسرنا وحين نسينا إن بعد العسريسرا .



## الفهرس

### الصفحة

الأدب والبشرية ..	٣...
خواطر ونقد ..	٨...
لمحة عن ابن الرومى ..	١٢ ..
سر الكلمة ..	١٦ ..
أم لأمر فيك تجديد ..	٢٠ ..
لا يصلح العلم فوضى !! ..	٢٣ ..
يفتقد البدر ..	٢٧ ..
السيف والذهب ..	٣٢ ..
ماذا فعلتم بأيكم ..	٣٨ ..
خطاب وتعليق ..	٤٣ ..
لكل عصر جبرتي ..	٤٧ ..
الأشجار والأعشاب وصالون العقاد ..	٥١ ..
من فيض الكريم ..	٥٦ ..
قراءات ومشاهدات ..	٦١ ..
بين الخطيئة والغفران ..	٦٦ ..
المجتمع والأدب والسياسة ..	٧٠ ..
سيده اللغات ..	٧٥ ..

٨٠ .	... ..	لغة العرب لغة الثراء ...
٨٥ .	... ..	تدريس العربية بالعربية.
٩٠ .	... ..	الكاتب حق . ...
٩٧ .	... ..	معذرة .. شكسبير
١٠٢ .	... ..	لو .. حرف امتناع الوجود ..
١٠٦ .	... ..	حياة من السير ...
١١٢ .	... ..	أما نحن .. فلا نعجب
١١٦ .	... ..	تغير الدنيا ولا تتغير ...
١٢٠ .	... ..	وأن خالها تخفى ...
١٢٤ .	... ..	اسلام وشوعية : لا يلتقيان ..
١٣١ .	... ..	تعقيب على رد ...
١٣٤ .	... ..	أيها التاريخ توقب



مما لا يخفى على من